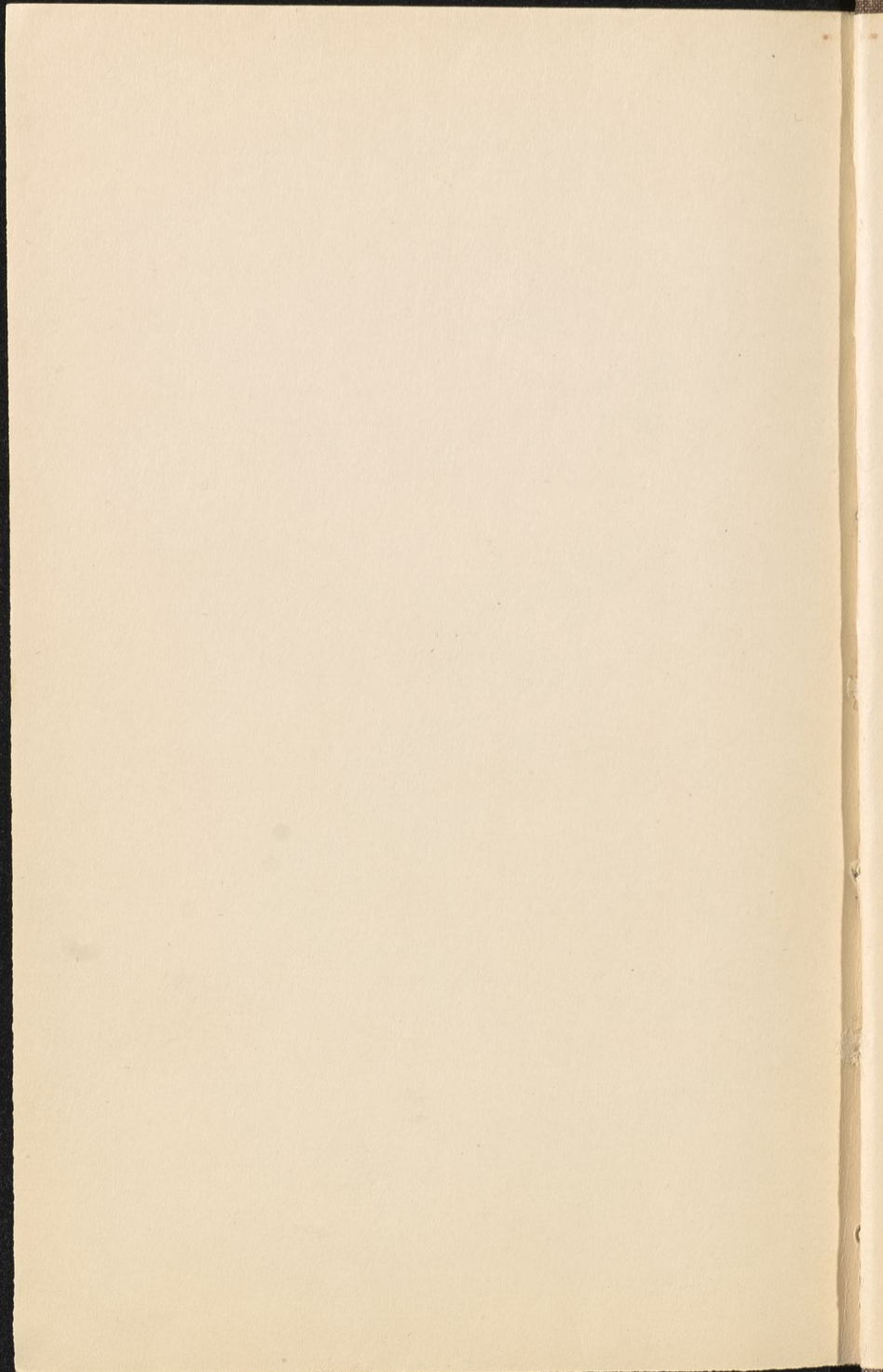


Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

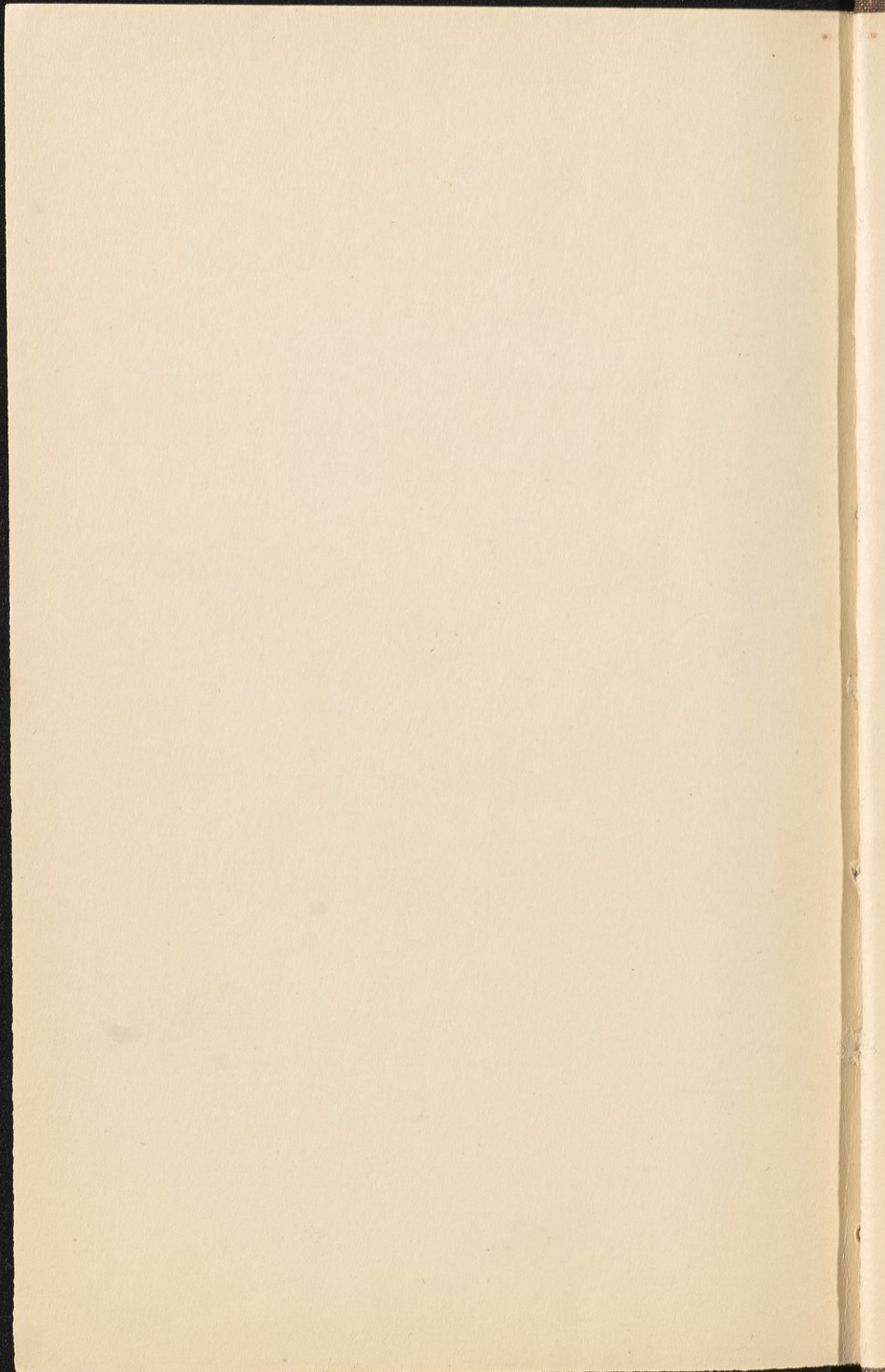


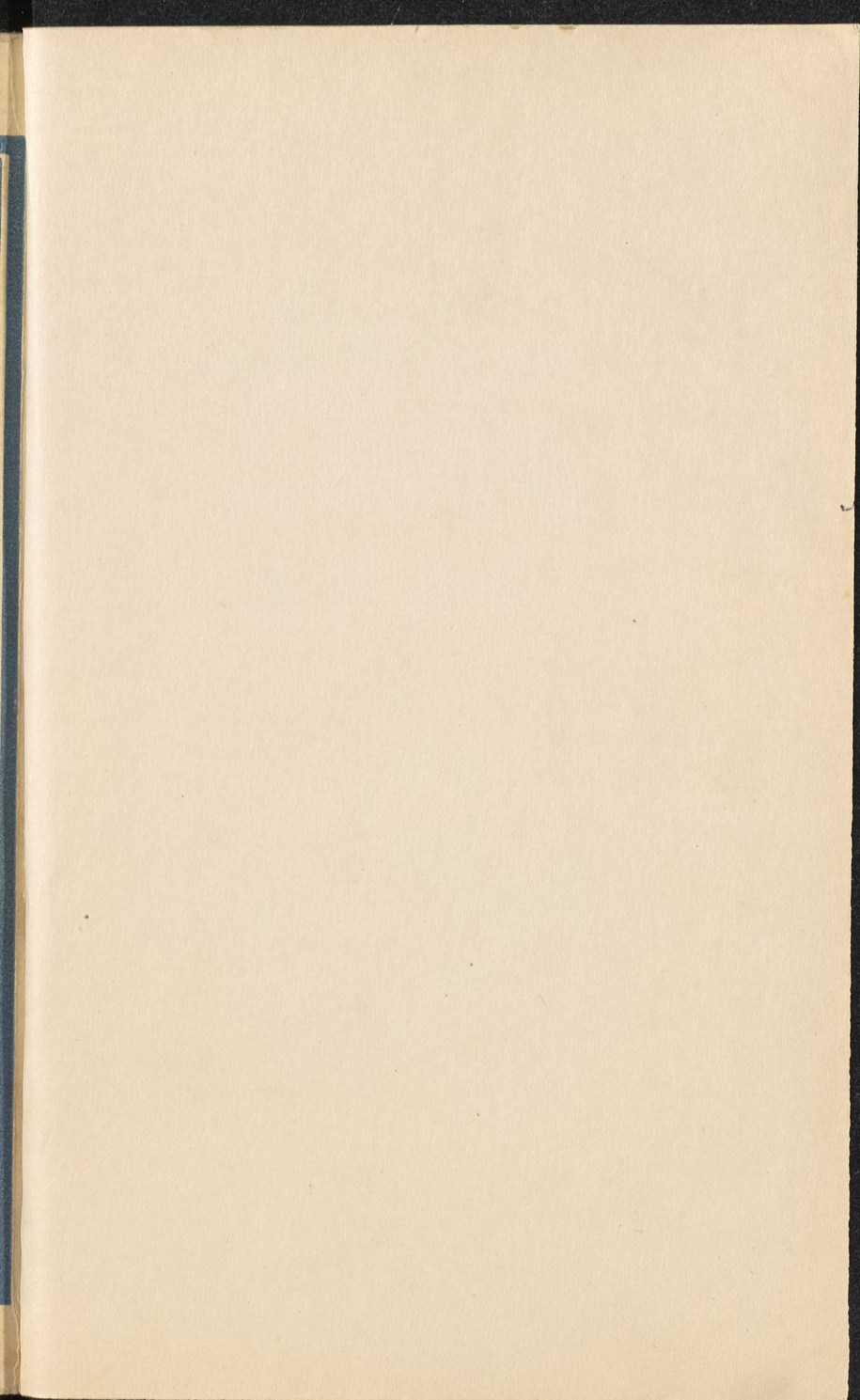


Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







4

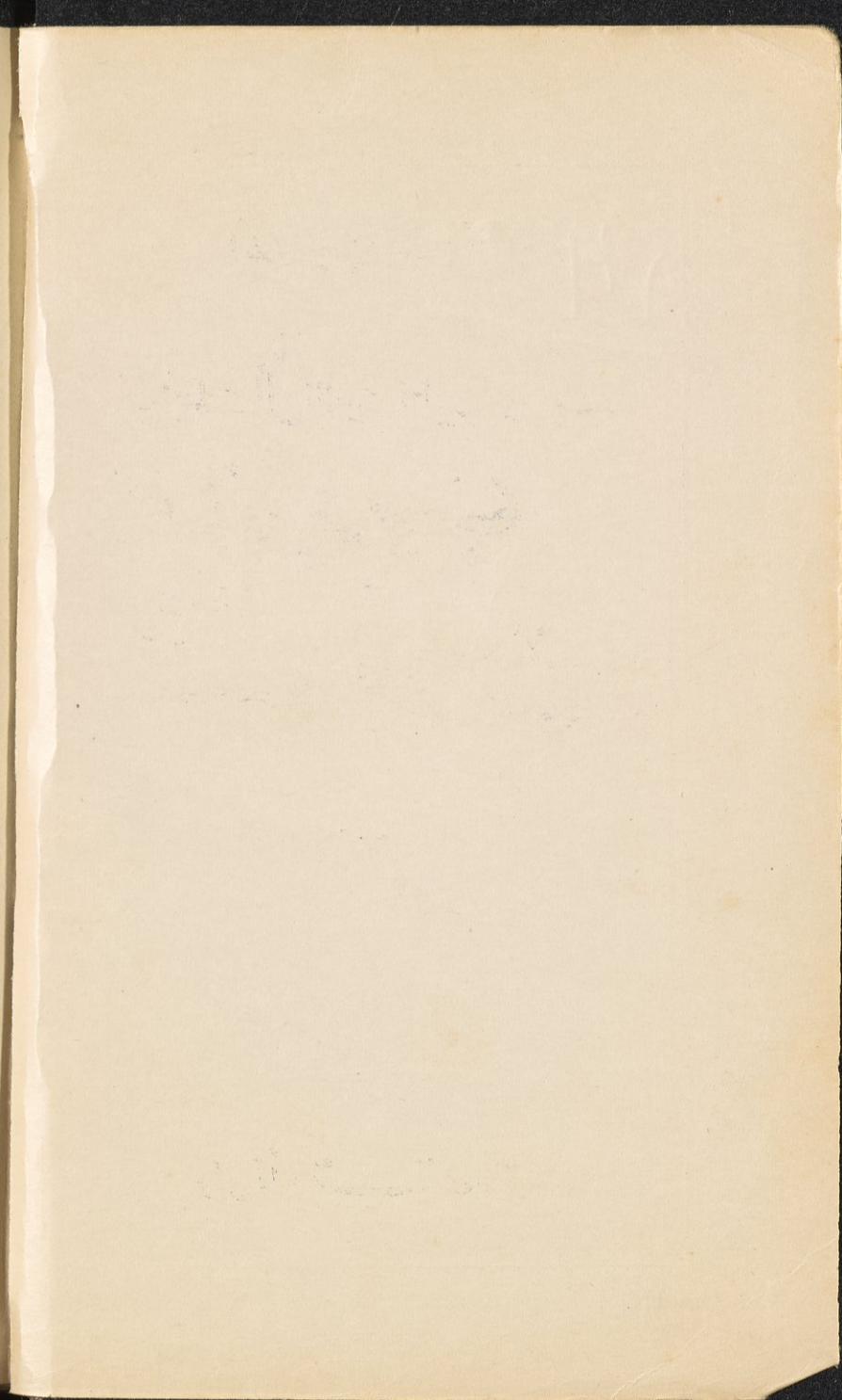
اندریه چید
A 79

من أبطال الأساطير اليونانية

أوديب تيسروس

ترجمة
طه حسين

دار الكاتب المصري



اودیب
نيسبوس

كتاب آخر لأندريه جيد
أصدرته دار الكاتب المصري

الباب الضيق (تعريب نزيه الحكيم)
مع مقدمة لأندريه جيد وطه حسين

اندريه چيد

من أبطال الأسياطير اليونانية

أوديب
نيسبوس

ترجمة
طه حنين



دار الكاتب المصري

الطبعة الأولى . . . أكتوبر ١٩٤٦

893.784
G 36

العنوان الأصلي للكتاب
بالفرنسية

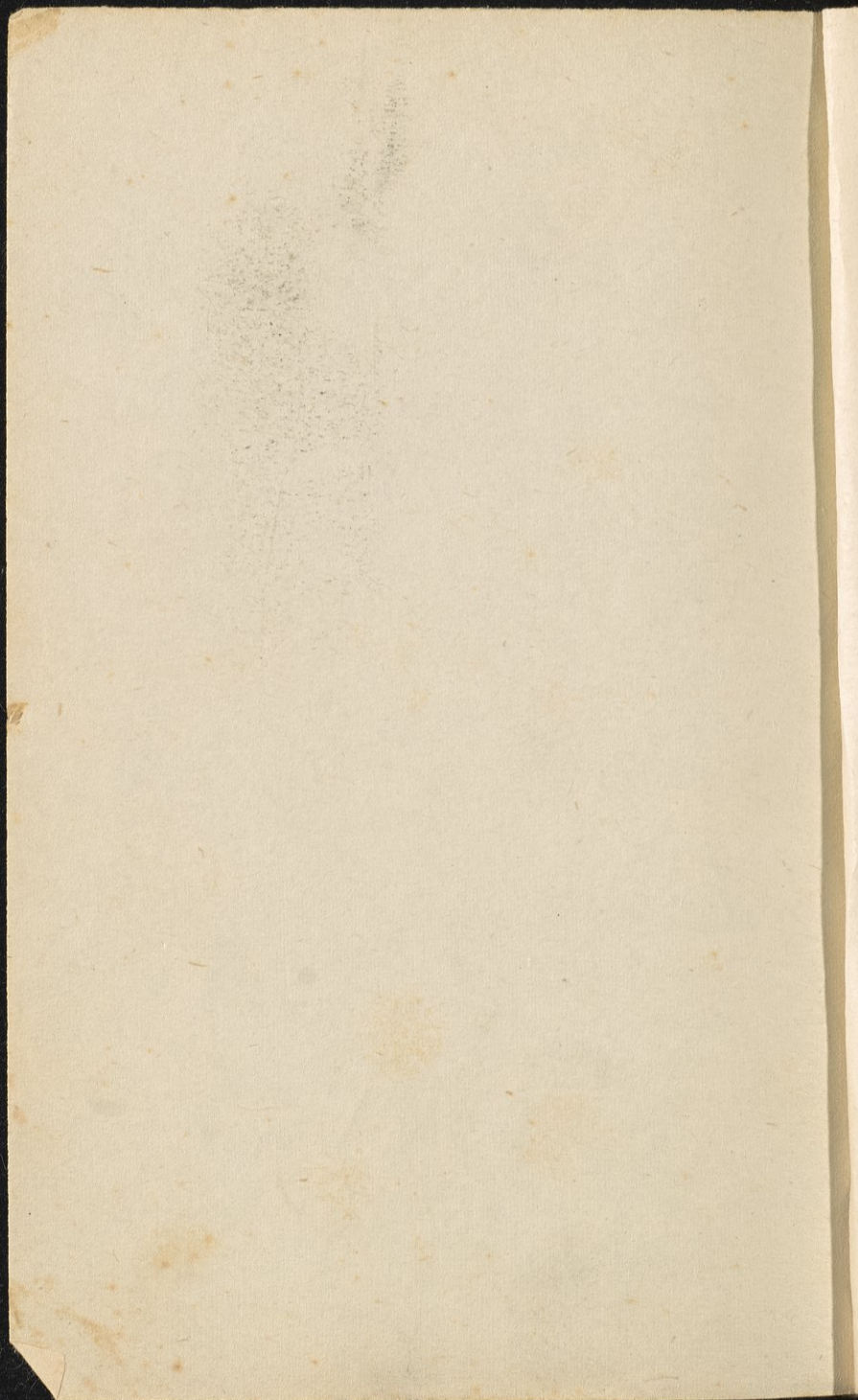
ANDRE GIDE

OEDIPE

*

THESEE

جميع الحقوق محفوظة لدار الكاتب المصري ١٩٤٦



et
us

ls
e,

n
2,

Mon cher André Gide,

Pour vous avoir entendu nous lire «*Edipe*» et «*Thésée*», je sais la particulière tendresse que vous avez pour eux.

C'est pourquoi je leur appris l'arabe, afin qu'ils puissent aux lecteurs de l'Orient dire votre message, qui est confiance, courage, sérénité.

Ils témoigneront aussi de cette grande admiration que j'ai pour vous, et qui, depuis notre rencontre, est devenue une si précieuse amitié.

TAHA HUSSEIN

Le Caire, le 7 Octobre 1946.

صديق أندريه جيد

سمعتك تقرأ لنا قصتي «أوديب» و «ثيسوس» فعرفت
الحنان الخاص الذي تؤثرهما به .

ومن أجل هذا علمتهما العربية لنبلغا إلى قراء الشرق رسالتك
التي هي ثقة وشجاعة واستبشار .

وسيشهدان كذلك بما أضمر من إعجاب بك قد أصبح منذ
التقينا وداً كريماً .

طه حسين

القاهرة ، ٧ أكتوبر ١٩٤٦

4
و
ا
و
ع
ا

مقدمة

١

كان لا يوس Laïus منذ ارتقى إلى عرش ثيبا Thèbes
يحيا حياة سعيدة راضية مع زوجته چوكاست Jocaste .
ولم يكن يكدر صفو هذه السعادة إلا شيء واحد وهو
أن الزوجين لم يرزقا الولد . فخطر للملك أن يستشير أبولون
Apollon في محنته هذه لعله أن يجد له منها مخرجاً ،
وأن يتم عليه نعمة الملك السعيد المجيد الذي لا يقتصر
على شخص صاحب العرش ، وإنما ينتقل منه إلى ذريته
التي تتوارثه أجيالها إلى آخر الدهر . فلم يكن لا يوس

قصير الأمل ، ولا محدود الأمد . لم يكن يريد أن يملك
ليس غير ، وإنما كان يريد أن ينشئ أسرة مالكة .
ولكن أبولون لم يكن سمحاً ، ولا موافقاً ، فأظهر للملك
في شيء من الإلغاز ما خبأه له القضاء . أعلن إليه أنه
إن رزق الولد فسيفقتله ابنه . وقد عاد لايوس من معبد
أبولون مهموماً ، شديد الحزن ، موزع النفس بين الحرص
على الحياة والرغبة في الولد الذي يرث الملك ، ويخلد الذكر .
وقد شك طويلاً أو قصيراً بين هاتين العاطفتين ، ولكنه
آثر الحياة آخر الأمر على الولد ، فرضى العُقم بل رغب
فيه وحرص عليه . غير أن القضاء ماض إلى غايته دائماً ،
فما هي إلا أن يرزق لايوس من زوجه چوكاست هذا الغلام
الذي أنذره أبولون بأنه سيذيقه الموت . هنالك استأثر
الحرص على الحياة بنفس الملك ، فأزمع أن يقتل ابنه قبل
أن يقتله هذا الابن ، وأسلم الطفل إلى راع من رعاته ، وكلفه

أن يلقيه على الجبل نهباً للسباع . ولكن الراعى لم يكن قاسى القلب ولا غليظ الطبع ، فلم يُلق الطفل على الجبل ولم يقتله ، وإنما أسلمه إلى راع آخر ملك كورنت Corinthه فى بعض الروايات ، أو علقه إلى شجرة من أشجار الجبل من رجليه اللتين شقهما ، وجمع بينهما بجبل متين . ومهما يكن من اختلاف الروايات ، فإن الصبى لم يمت نهباً للسباع ، ولا نهباً للجوع والبرد والجراح ، وإنما تلقاه راعى كورنت فمطف عليه ورفق به . وكان ملك كورنت بوليبي Polybe شقيقاً بعقم امرأته ميروپ Mérope ، فيدفع الراعى إليه هذا الصبى ويتبناه الملك وينشئه تنشئة أبناء الملوك . وقد شب الصبى قوى الجسم والنفس جميعاً ، ماضى العزم ، صارم الإرادة ، معتدداً بنفسه ، جاهلاً لأصله ، بعيد الأمل مع هذا كله عظيم الاطماع . ولكنه يرى من لداته وأترابه ما يريه ، فهم يلمحون له بأنه ليس ابن الملك . وهو يضيق

بهذه الريبة ويريد أن يعرف جلية أمره ، فيذهب إلى معبد
 أبولون ليتبين حقيقة الأمر في وحى الإله . والقضاء صارم
 حازم قاس لا يعرف رفقا ولا ليناً ، وإذا أبولون لا ينبي
 الفتى بأصله ، ولا يزيل من نفسه الريبة ، وإنما يضيف
 شكاً إن شك وخوفاً إلى خوف ، فينبئ الفتى بأنه سيقتل
 أباه ، وسيتزوج من أمه ، وسيقترب هاتين الخطيئتين
 المنكرتين .

وكان لا يوس قد أراد أن يقاوم القضاء فيخاص من
 هذا الصبي الذي سيذيقه الموت ، فانتصر القضاء على إرادة
 لا يوس ، وعاش الصبي ونما حتى أصبح قادراً على اصطناع
 السلاح . وهذا الفتى ينبئ أبولون بأنه سيقتل أباه ويقترن
 بأمه ، فيريد أن يقاوم القضاء ، وهو لا يعرف لنفسه أباً
 غير بوليب ملك كورنت ، ولا أمّاً غير ميروپ ملكتها .
 فليجتنب إذن كورنت ، وليأخذ طريقه إلى أى بلد آخر

بعيد عن هذه المدينة حتى لا يُغرمى بقتل أبيه أو اتخاذ
أمه لنفسه زوجاً . وإنه لفي بعض الطريق عند مكان شديد
الضييق ، وإذا عربة تعترضه وتأخذ عليه سبيله ، فيكون
الخصام باللسان ، ثم يكون الاقتتال ، وإذا الفتى يقتل
صاحب العربة ، وقد تفرق من كان معه من خدم وأنصار .
ويمضى الفتى لوجهه راضياً عن نفسه ، مطمئناً لحسن بلائه ،
غير مقدر أنه قد أنفذ بعض ما كتب القضاء عليه ، فقتل
أباه ، واقترف أحد الإثمين اللذين أئذره بهما أبولون .
وهو يمضى في طريقه حتى يدنو من مدينة ثيبا ، فيسمع
بأن المدينة مروعة بخطر داهم ونكر مبین . فهذا كائن غريب
قد هبط عايتها من السماء أو نجم لها من الأرض ، جاءها من
حيث لا تعلم على كل حال ، واستقر غير بعيد من المدينة
على صخرة مرتفعة يرصد من يمر به من الناس ، فيأتي عليهم
لغزه الغريب : ما كائن له صوت واحد ، يمشى على أربع إذا

أصبح ، وعلى اثنتين إذا زالت الشمس ، وعلى ثلاث إذا أقبل
المساء ؟ وهذا الكائن الغريب الذى اتخذ جسم الأسد ،
ورأس المرأة ، ووصل بجسمه جناحين ، والذى يسميه
اليونان سفنكس Sphinx ، ويسميه المصريون القدماء
بو الهول ، أو أبا الهول ، لا يعنى أحداً من الإجابة على
هذا السؤال وحل هذا اللغز . والناس جميعاً يعجزون عن
الإجابة ولا يجدون حلاً لهذا اللغز ، وهو يعاقبهم بالموت
على هذا العجز والإخفاق . وقد عظم الكرب ، وعم
البلاء ، وامتلت قلوب أهل المدينة خوفاً ورعباً ، حتى
اضطر كريون Créon أخو الملكة چوكاست والناهض
بأعباء الملك بعد قتل لايوس أن يذيع فى أقطار الأرض
أن من أراح المدينة من هذه المحنة فله تاجها وله
الملكة زوجا .

وقد سمع الفتى بآباء هذا الكائن الخطر ، وبهذا الوعد

الرائع الذي يبذل لمن ينقذ منه هذه المدينة البائسة ، وهو قوى الجسم والنفس ، ذكى القلب ، حديد الفؤاد ، بعيد الأمل ، شديد الطموح ، فيقبل على أبى الهول يجرب ذكاه وقوته ، ويغامر بحياته فى سبيل المجد والملك . وأبو الهول يلتقى عليه السؤال فيجيبه الفتى بأن الإنسان هو الذى يمشى على أربع إذا أصبح لأنه يحبو فى الطفولة ، ويمشى على اثنتين إذا انتصف النهار لأن قامته تعادل وتستقيم إذا شب ، ويمشى على ثلاث إذا أقبل المساء لأنه ينحنى على العصا إذا أدركته الشيخوخة ، وقد احتم أبو الهول وألقى بنفسه من أعلى الصخرة فمات . وظفر الفتى بعرش ثيبا ، واتخذ الملكة له زوجا ، واطمأن إلى أنه قد أفلت مما تنبأ له به وحى أبولون ، فلم يقتل أباه ، وأين هو من عابر السبيل ذاك الذى قتله ! ولم يقترن بأمه ، وأين هو من ملكة ثيبا هذه التى تزوج منها ! لقد ترك

أبويه في كورنت وأسس لنفسه ملكاً جديداً ، وقد رضى
 عن رعيته ورضيت عنه رعيته ورزق الولد . فله ابنان
 إتيوكل Etéocle وپولينيس Polynice ، وله ابنتان
 أنتيجون Antigone وإسمين Ismène . وهو يرى نفسه
 سعيداً موفوراً راضى النفس رضى البال . ولكن
 المدينة تُمْتَحَن ذات عام بوباء يفسد عليها أمرها كله
 فساداً عظيماً ؛ فقد هلك الزرع وجف الضرع وأسرف
 الموت في كل حي ؛ فالطير تساقط من السماء ؛ والماشية
 تخر إلى جنوبها ، والناس يستبقون إلى القبور حتى تضيق
 بهم وحتى يعجز بعضهم عن دفن بعض ، وقد عم البلاء
 وعظم الكرب واشتدت المحنة حتى بلغت أقصاها . وأهل
 المدينة يستعطفون الآلهة بالضحايا والقرايين ويتوسلون
 إليهم بالصلاة والدعاء ، فلا يغنى عنهم هذا كله شيئاً . وهم
 قد هرعوا إلى ملكهم يفرعون إليه ويستعينونه ، فيرسل

الملك إلى معبد أبولون من يؤامر الإله ويستشيريه في هذا
 البلاء العظيم . ويعود رسول الملك إليه يحمل جواب
 الإله واضحاً غامضاً ومُعمى صريحاً ، كما تعود أبولون
 أن يجيب دائماً . أجاب أبولون بأن الآلهة لن يكشفوا
 الضر عن هذه المدينة إلا إذا ثارت للايوس
 من قاتله .

ولم يكده الملك يتلقى هذا الجواب حتى أعلن في حزم
 وصرامة أنه باحث عن هذا القاتل ومنزل به أشد العقاب ،
 وأنه يطلب إلى أهل المدينة أن يعاونوه على ذلك في غير تردد
 ولا ضعف مهما يكن هذا القاتل . ثم هو لا يكتفى بذلك
 بل يستنزل اللعنات وغضب الآلهة على هذا المجرم الذي قتل
 ملكاً وعرض المدينة أشر عظيم . ولكن الملك لا يكاد
 يبحث عن هذا المجرم حتى تتبين له الحقيقة منكرة بشعة ،
 فهو المجرم الذي قتل لايوس هناك في ذلك المكان الضيق .

وهو الآثم الذي اتخذ أمه له زوجا وعاش معها في هذا القصر وأولدها أبناءه الأربعة .

ليس في ذلك شك ، واسمه نفسه يدل على ذلك دلالة قاطعة ، فهو أوديب *Œdipe* ذو الرجل المتورمة ، ورجله متورمة حقاً من أثر ذلك الثقب الذي علق به إلى الشجرة في طفولته الأولى على الجبل . يعرف ذلك من الراعى الذي كلف قتله ، ويعرف ذلك من الراعى الذي أنقذه من الموت وأسلمه إلى ملك كورنت . هنالك يتبين أوديب وتتبين چوكاست أن لا مرداً لما كتب القضاء . فلم يفن عن لا يوس تخلصه من الصبي ، فقد عاش الصبي حتى قتله . ولم يفن عن چوكاست تخلصها من الصبي فقد عاش الصبي حتى اقترن بها . ولم يفن عن أوديب فراره من قصر كورنت وتجنبه ملكها وملكتها هرباً من الآثم ، فلم يكن من هذين الزوجين في شيء . وإنما هو ابن لا يوس وقد قتل

لايوس ، وابن چوكاست وقد تزوج من چوكاست . والمهم
 أنه قد عرف القاتل الذي يجب أن يثار منه لتخلص المدينة
 من هذا البلاء ، فيجب أن يثار من نفسه إذن ، فإن لم
 يفعل فستثار منه المدينة التي لم تكن ترى فيه ملكا
 فحسب ، وإنما كانت ترى فيه شيئا يشبه الإله .

فأما چوكاست فلم تكذب تظهر على الحقيقة البشعة حتى
 خنقت نفسها . وأما أوديب فقفا عينيه بيديه حتى
 لا يرى الضوء .

وتختلف الروايات بعد ذلك أو قل تختلف الروايات
 قبل ذلك ، ويزيد في اختلافها فن شعراء الممثلين الذين
 اتخذوا هذه القصة موضوعاً للتمثيل ؛ فقوم يرون أن
 چوكاست لم تقتل نفسها ، وإنما عاشت حتى رأت اختلاف
 ابنها على العرش وتساقيهما الموت ، ولم تقتل نفسها إلا
 بعد أن رآتهما صريعين . وقوم يرون أن أوديب قد نفى

نفسه من الأرض بعد أن فقا عينيه وهام غريباً تقوده ابنته أنتيجون حتى انتهى آخر الأمر إلى ضاحية من ضواحي أثينا مات فيها. وآخرون يرون أنه لم ينف نفسه، وإنما نفاه ابنه بعد أن وليا الملك. وآخرون يرون أن ابنه قد أمسكاه في أنقصر ولم ينفياه، وإنما نفاه كريون بعد أن مات ابنه، فلجأ إلى الضاحية الأثينية ومات فيها. هذه هي القصة التي روتها الأساطير اليونانية منذ أبعاد العصور؛ فقد تحدثت بها الأوديسة *L'Odyssée* في نشيدها الحادي عشر، كما تحدثت بها أقاصيص ثيبا نفسها بعد ذلك.

٢

والشعراء الممثلون من اليونان يعتمدون في تمثيلهم بحكم الفن نفسه وبحكم الدين أيضاً على الأساطير. فالأبطال

القدماء هم موضوع المأساة اليونانية التي تصور حياتهم
أو تصور ما تمتاز به حياتهم من المحن والخطوب . وتصوير
هذه المحن التي ألت بالأبطال وعرضها على النظارة في ملاعب
التمثيل شيء كان الأثينيون يرونه فنًا ويرونه دينًا . فيه
الجمال الأدبي الذي يعظ النفس ويذكي القلب ويثير العاطفة
وينمي الفضيلة ويرفع الإنسان عن صفائر الحياة إلى
جلائل الأمور ، وفيه تقديس الآلهة وتمجيد الأبطال
والإشادة بالتقديم وما فيه من ما أثر كتب لها الخلود .
وقد كان اليونان قبل أن ينشأ فن التمثيل وقبل أن ينشأ
فن الغناء نفسه يتقربون إلى آلهتهم بإنشاد الشعر القصصي
والاستماع له . ثم نشأ الغناء فتقربوا به إلى الآلهة ، يتغنون
حياة الأبطال وحياة الآلهة وما عرض لهم فيها من خير
وشر . ثم نشأ فن التمثيل فتقربوا به إلى الآلهة كما كانوا
يتقربون بالقصص والغناء . ومن أجل هذا كله تغيرت صور

الفن الشعري عند اليونان ولم يتغير موضوعه . فالأبطال والآلهة هم موضوع القصص في الإلياذة والأودسة ، وهو الموضوع الأساسي لغناء المغنين ، وهم الموضوع الأساسي لتمثيل الممثلين أيضاً . ومع ذلك فتغير الصورة له خطره العظيم وإن بقي الموضوع ثابتاً مستقرّاً ، ذلك أن الصورة لم تتغير إلا لأن النفس اليونانية قد تغيرت بحكم ما أحاط بالشعب اليوناني من الظروف . فقد كان القصص اليوناني صورة لحياة الجماعة لا يكاد يظهر فيها من الأفراد إلا شخصية الآلهة والأبطال ، بل لا تظهر فيها شخصية الشاعر نفسه . فلما ارتقت الحضارة وذاكت القلوب وقويت شخصية الفرد ، تغيرت صورة الشعر ، فظهر شخص الشاعر أولاً وأصبح الشعر لا يضاف إلى شاعر مجهول يسمى هوميروس مهما يكن موضوعه ، وإنما يضاف إلى شعراء معروفين يراهم الناس ويتحدثون إليهم

ويتحدثون عنهم ، وأصبح الشعر لا يصور الآلهة والأبطال
الممتازين وحدهم ، وإنما يصور شخصية الشاعر نفسه ،
ويصور معها شخصية كثير من الأفراد ، وما يجدون من
لذة وألم ومن حب وبغض ومن عاطفة وشعور بوجه عام ،
ثم أصبح الشعر لا ينشد إنشاداً يسيراً تسنده بين حين
وحين نغمات ساذجة توقع على أداة ساذجة من أدوات
الموسيقا ، وإنما ينشد إنشاداً معقداً يتشكل فيه الصوت
بالأشكال المختلفة التي يقتضيها الغناء ، وتسنده وترنج منه
أحياناً أدوات موسيقية كثيرة مختلفة ، ويسنده الرقص
أيضاً بحيث يوشك أن يشبه الأوبرا في عصرنا الحديث ،
لولا أنه كان يخلو من حركة التمثيل . ثم تتقدم الحضارة ،
ويرقى العقل ، وتقوى الشخصية ، وتظفر الشعوب في
المدن بحقوقها السياسية ، فتتغير صورة الشعر . وإذا
الحوادث التي كانت تقص في الشعر القصصي ، وتعنى

في الشعر الغنائي ، قد أصبحت تعرض على النظارة في ملعب التمثيل يجريها الشاعر على أيدي أشخاص يمثلون الأبطال والآلهة أنفسهم . وهذا التمثيل نفسه لا يخاو من الغناء والرقص توقعهما الجوقة وقد يشارك فيهما كليهما أو أحدهما الممثلون . وقد أصبح جمهور النظارة ذا شأن خطير ؛ فهو يشارك في حفلات التمثيل لا بشهود التمثيل فحسب ، ولكن كذلك بالقضاء بين المستبقين من الشعراء الممثلين . وقد كان الشعراء يشاركون بأنفسهم في التمثيل أول الأمر ، ثم نشأت طائفة الممثلين المحترفين ، وجعل الشعراء يكتبون بإنشاء الشعر وإرشاد الممثلين وأعضاء الجوقة .

كذلك كانت الحال في القرن الخامس قبل المسيح حين عرض الشعراء الثلاثة الممتازون : إيسكولوس Eschyle وسوفوكل Sophocle وأوريبيد Euripide حياة الأبطال

والآلهة فعروضوها في الملاعب على النظارة من الأثينيين .
 وكان من نتيجة هذا كله أن هؤلاء الشعراء وغيرهم
 من الشعراء الممثلين كانوا يرون من الطبيعي والمألوف
 أن يعرضوا للموضوعات التي سبقهم إليها القصاص
 والمغنون ، فينشئوا فيها قصصهم التمثيلي ، بل كان من
 الطبيعي والمألوف أن يعرض المتأخر منهم لما عرض له
 المتقدم ، لا يجدون في ذلك حرجا ، بل يجدون فيه سبيلا
 إلى الإيادة والإتقان . فقصة أوديب مثلا قد عرض لها
 إيسكولوس ثم عرض لها بعده سوفوكل ، ثم عرض لها
 بعدها أوريبيد ، ثم عرض لها شعراء آخرون من اليونان
 لم يجد أحد في ذلك حرجا . وهذه السُّنة التي سنها اليونان
 قد انتقلت منهم إلى غيرهم من الأمم ؛ فالرومان في العصر
 القديم حين حاولوا التمثيل اتخذوا أكثر الموضوعات
 لقصصهم من التمثيل اليوناني نفسه . فقصة أوديب مثلا

عرض لها منهم غير شاعر . وامتازت قصة سينيك Sénèque من هذه القصص التي وضعها الشعراء اللاتينيون . وجرى الأمر على ذلك بعد النهضة الأوربية في العصر الحديث ، فاستعار شعراء التمثيل من الإنجليز والألمان والإيطاليين والفرنسيين خاصة موضوعات شعرهم التمثيلي من تمثيل اليونان والرومان . وقد وضع الشاعر الإنجليزى دريدن Dryden في القرن السابع عشر قصة أوديب ، كما وضع الشاعر الإيطالى ألفييري Alfieri في القرن الثامن عشر قصة أوديب أيضاً . أما الفرنسيون فقد فتن شعراؤهم وكتابهم بقصة أوديب منذ أواخر القرن السادس عشر إلى الآن . ولست أحصى شعراءهم الذين عرضوا لهذه القصة ، وإنما أذكر أن كورنى Corneille قد وضع قصة تمثيلية لأوديب فُتن بها معاصروه ، وأن فولتير Voltaire قد وضع في أول القرن الثامن عشر قصة لأوديب كثر حولها الحديث والنقد ،

وأن شاعرين فرنسيين هما دى سيس Ducis وشينييه^(١) و M. J. Chénier وضعا قصتين لأوديب فى آخر القرن الثامن عشر وأول القرن التاسع عشر . أما فى هذا القرن العشرين فقد عنى بأوديب الكاتب الفرنسى العظيم أندريه جيد André Gide فى القصة التى تترجمها فى هذا السفر ، كما عنى به الكاتب الشاعر المعروف چان كوكتو Jean Cocteau فى قصته المشهورة «أداة الجحيم» .

فأنت ترى أن السنّة اليونانية التى أتاحت للشعراء الأينفروا مما سبقوا إليه قد أصبحت سنّة أدبية إنسانية شائعة على اختلاف العصور . وأنت ترى كذلك أن قصة أوديب وحدها قد شغلت شعراء كثيرين فى الأمم المختلفة على اختلاف العصور ، وما زالت تشغل الشعراء والكاتب إلى الآن . وأكبر الظن أنها ستشغلهم دائماً .

(١) هو أخو الشاعر الغنائى العظيم أندريه شينييه .

٣

ولا أكاد أذكر من القصص اليوناني القديم الذي سُغِلَ به المحدثون شيئاً تجاوز القرن السابع عشر والثامن عشر إلا قصة «أجيني في توريس» *Iphigénie en Tauride* التي عني بها جوت ، وقصصاً قليلة أخرى طفت في القرن العشرين ، أعظمها خطراً قصة «أوديب» هذه وقصة «إلكتر» *Electre* و «أمفثريون» *Amphytrion* وقد جددها جان جيرودو *Jean Giraudoux* ، وقصة أنتيجون وقد جددها جان كوكتو بين الحربين ثم جددها جان أنوي *Jean Anouilh* في هذه الأعوام الأخيرة وهناك قصص تمثيلية معاصرة جدت أو حاولت أن تجدد بعض القصص التمثيلية اليوناني القديم ، ولكنها لم تبلغ الملعب أو لم تظفر فيه بفوز باهر ونجح عظيم .

éclatant
clair

remplit de
succès

ولعل المحدثين المعاصرين يؤثرون أن يشهدوا
 القصص اليوناني يعرض عليهم كما تركه أصحابه مع قليل أو
 كثير من التغيير ، إلا أن يوجد الكاتب الممتاز الذي
 يستطيع أن يدل بالقصة اليونانية على أكثر مما وصل إليه
 الشاعر اليوناني القديم ، أو أن يعرضها في شكل أشد
 ملاءمة لروح العصر الحديث .

وهذا هو الذي فعله جيرودو حين اتخذ أكثر رمزا
 لا للانتقام وحده كما فعل القدماء بل للعدل أيضاً . للعدل
 الذي يجب أن تبلغه الإنسانية وأن تضحى فيه بكل شيء
 مهما تكن التضحية قاسية ومهما تكن الضحية غالية ،
 والذي لا يحفل بانثلال العروش وانهيار النظم وإزهاق
 النفوس وسفك الدماء وصب الدمار على المدن ، بل يرى
 في ذلك كله إيذاناً بطولع فجر جديد . وكما فعل جان بول
 سارتر Jean-Paul Sartre في قصة « الذباب » حين أراد

أن يجدد مأساة إلكتر فجعل أخاها هو البطل . ولم يكتف
 بفكرة الانتقام من الأم التي خانت زوجها وقتلته ، ولا
 بفكرة العدل التي قصد إليها ووقف عندها جيرودو ،
 ولكنه غنى بالحرية الإنسانية التي وقفت أورست موقف
 الثائر على ذوس Zeus المعارض له ، والتي تقف الإنسان
 الحديث موقف الثائر على كل شيء المزدري لكل شيء إلا
 حرية التي تجعله إنسانا يوجد ليعمل ما يشاء أن يعمل وليقول
 ما يشاء أن يقول ، غير حافل إلا بنفسه ولا واقف إلا
 عند نفسه .

إلى شيء من هذا التجديد الأساسي الخطير قصد
 أندريه جيد حين وضع قصته التمثيلية « أوديب » مجددا
 هذه القصة كما تركها سوفوكل ، غير واقف عند ما انتهى إليه
 سوفوكل ، ولا حافل بما بلغه كورنى أو فولتير أو غيرها
 من الشعراء والكتاب المحدثين . وقد يحسن أن نتبين

قبل كل شيء إلام أراد سوفوكل حين وضع قصته هذه التي صور فيها مأساة أوديب؟ وقد أضاعت الأيام ما ترك إيسكولوس وأوريبيد وغيرهما من الشعراء القدماء حول هذا الموضوع بحيث أصبحت قصة سوفوكل هي النموذج القديم الوحيد الذي ألهم المحدثين من الأوربيين. وواضح أن سوفوكل إنما قصد في هذه القصة كما قصد في أكثر قصصه الأخرى إلى ما يصور لنا صرامة القضاء من جهة وحرية الإنسان من جهة أخرى، وإلى أن يلائم بين هذين الضدين المختصمين على نحو ما. فالقضاء صارم قاس بالقياس إلى أوديب وإلى أبويه في هذه القصة، وهو صارم قاس بالقياس إلى أبنائه في قصة أخرى هي قصة أنتيجون. القضاء صارم قاس لأنه قد كتب في غير حكمة بينة للإنسان على لا يوس أن يموت مقتولا بيد ابنه، وكتب على چوكاست أن تقتل نفسها بعد أن تتورط في إثمها ذاك

البشع الشنيع ، وكتب على أوديب أن يكون قاتلا لآبيه
متزوجا لأمه مسببا لموتها فاقثا عينيه بيده . ومن البين
أن أحدا من هؤلاء الأبطال لم يكن حاضرا حين كتب
القضاء ما كتب ، ولم يقترب قبل وجوده وإنما يغرى به
القضاء ويساط عليه قسوة الأقدار . فهناك إذن علة خفية
لا يدركها الإنسان تدفع القضاء إلى أن يدبر أمر الناس
والآلهة كما يشاء . ومن يدري ! لعل هذه العلة الخفية
لا وجود لها ، ولعل القضاء يمضى كما يريد لا يخضع لقانون
ولكنه على كل حال صارم قاس بالقياس إلى الآلهة والناس
جميعا . غير أن الإنسان ليس خاضعا خضوعا كاملا شاملا
مستسلما لهذا القضاء ، وإنما هو مستمتع بشئ من الحرية
قد يكون قليلا وقد يكون ضئيل الأثر وقد لا يكون له
اثر ما ، ولكنه موجود على كل حال . وآية ذلك أولاً أن
الإنسان يريد أن يعرف ما أضمر له القضاء فيعمل في ذلك

عقله ويستنبي^٤ عن ذلك وحى الآلهة ؛ فهو إذن لا يخضع
 لأحكام القضاء غير عالم بها أو غير مفترض لوجودها كما
 يخضع لها الحيوان وكما تخضع لها الكائنات الأخرى التي
 تأتلف منها الطبيعة . وليس قليلا أن يتلقى الإنسان
 ما كتب له من خير وما قضى عليه من شر وهو عالم به
 وعالم بالمصدر الذي يسوقه إليه أو يسلطه عليه .

وهناك آية ثانية على حرية الإنسان أمام القضاء ؛
 فهو لا يطمئن إلى العلم بما كتبت الأقدار عليه ، وإنما
 يحاول أن يخلص مما قضى عليه من الشر . وليس المهم
 أن ينجح أو يخفق في هذه المحاولة وإنما المهم أن يحاول .
 فلايوس وچوكاست يعلمان أن ابنهما سيقتل أباه ويتزوج
 أمه ، فيحاولان التخلص من هذا الشر بقتل الصبي قبل
 أن ينمو ويقترب هذه الآثام ، ولا عليهما بعد ذلك أن
 يفلت الصبي مما دبراه من الموت . وأوديب يعلم بما دبر

القضاء له ، فينفر من قصر الملك في كورنت محاولاً أن يتجنب
الإثم ، ولا عليه بعد ذلك أن يقتل لايوس ، فلو قد عرف
أنه أبوه لما قتله ، ولا عليه أن يتزوج چوكاست فلو قد
عرف أنها أمه لما اقترن بها . وهناك آية أخرى على حرية
الإنسان أمام القضاء ، وهي أعظم من هاتين الآيتين خطراً
وهي التي يصورها لناسوفوكل في قصة «أوديب ملكاً» ،
ولكنه يصورها تصويراً أعظم روعة وأكثر جلاءً في قصته
الأخرى «أوديب في كولونا» ، وهي أن الإنسان حين
يعجز عن رد القضاء لا يرى نفسه منهزماً ولا يرى نفسه
مسئولاً عما تورط فيه من الإثم . فهو يؤمن بأن التبعة
يجب أن تكون نتيجة للحرية وأن يكون حظ الإنسان
من هذه التبعة ملائماً لحظه من الحرية ، فأوديب تدفعه
الغريزة الإنسانية الأولى كما تدفعه التقاليد الموروثة إلى
أن يعاقب نفسه حين يستكشف الإثم المروع الذي تورط

فيه ، ولكنه بعد شيء من التفكير يستطيع أن يثبت للقضاء وأن يقف من الآلهة موقف المدافع عن نفسه المحتج لها ، لأنه لم يرد قتل أبيه ، ولم يقتله وهو يعلم أنه أبوه ، ولم يرد الزواج من أمه ولم يتزوج منها وهو يعلم أنها أمه . فإن كان في هذا كله إثم فليس هو المسئول عن هذا الإثم ، وإنما يسأل عنه القضاء الذي دبره والآلهة الذين ضلوا أوديب حتى تورط فيه على كثرة ما حاول تجنبه والتخلص منه . هو إذن بريء أمام نفسه ، ولا عليه أن يراه الناس بريئاً أو أن يتهموه ويحكموا عليه . على أن أوديب لا يكتفي بذلك وإنما يريد أن يقنع القضاء والآلهة أنفسهم ببراءته ، وهو يبلغ من ذلك ما يريد ؛ فقد رضى الآلهة عنه آخر الأمر فأووه إلى هذه الضاحية من ضواحي أثينا ، وألقوا عليه السكينة ، وأشاعوا في نفسه الطمأنينة والأمن ، وجعلوا جثته مصدر بركة للبلد الذي تدفن فيه .

وهم قد عاقبوا مدينة ثيبا فأثاروا فيها الفتنة بين الأخوين الملكين ، وحرموها هذه البركة المتصلة بشخص أوديب حين قضوا ان يموت غريباً وأن يدفن في بلد غريب .

وإذن فقد انتهت حرية الإنسان إلى شيء من الفوز . لم تستطع أن تجنب صاحبها المحنة ولا أن تنقذه من الشر في هذه الحياة ، ولكنها قد صفت نفسه وطهرت قلبه واستخلصته من الآثام كما يستخلص المعدن النقي مما يحيط به من الخبث . فليست هذه المحنة إذن إلا تجربة لحرية الإنسان ، ووسيلة إلى تصفية نفسه وتنقية جوهره إن استطاع أن يثبت للآلام وينفذ من الخطوب .

إلى هذا كله أراد سوفوكل حين كتب قصتيه اللتين صور في إحداهما محنة أوديب ملكا ، وفي أخراهما نجاة أوديب منفيًا بأسأ طريداً . ويجب أن نعرف بأن الذين أرادوا أن يقلدوا سوفوكل لم يبلغوا مما أرادوا شيئاً

فا خطر ، لا أستثنى منهم إلا المعاصرين من الكتاب
الفرنسيين .

فالكاتب الشاعر الفيلسوف سينيك لم يضيف إلى
ما ابتكر سوفوكلي شيئاً ، ولعله أضع منه أشياء .
وإذا كان لقصته شيء من جمال فأكبر الظن أنه إنما
بأتيها من روعة الفصاحة اللاتينية ومن بعض الخواطر
الفلسفية العابرة .

أما كورني فقد كان مفتوناً بقصته ، ويظهر أن
معاصريه منحوا قصته هذه غير قليل من الرضا والإعجاب ؛
ولكن كورني فيما أعتقد قد أفسد قصة أوديب إفساداً
عظيماً . رأى أن يلائم بين القصة وبين ذوق البيئة التي
كان يكتب لها ، وقد لاحظ أن تلك البيئة لم تكن تتصور
قصة تمثيلية تخلو من الحب ، ومن الحب الذي يكون له في
المأساة نفسها أثر خطير . وليس في قصة سوفوكلي حب أو

شيء يشبه الحب ، فاضطر كورنى إلى أن يحدث حباً ذ
 خطر ، واضطر من أجل ذلك إلى أن ينشئ للايوس بنت
 تكبر أوديب سنًا ، وأن ينشئ بين هذه الفتاة وبين
 ثيسوس Thésée ملك أثينا حباً ، وأن ينشئ بين هذه
 الفتاة وبين أوديب خصومة حول هذا الحب من جهة
 وحول العرش من جهة أخرى . فلم تكن الفتاة تعرف أن
 أوديب أخوها ، وهى من أجل ذلك كانت تراه غاصباً
 لعرش أبيها . ولم يكن أوديب يعرف أن الفتاة أخته
 فكان يؤثر أن يزوج ملك أثينا من إحدى ابنتيه .
 وكانت چوكاست حائرة بين بناتها الثلاث وبين زوجها .
 والغريب أن كل هذه الخصومات حول الحب والغيرة
 كانت تشغل الملك والملكة والحاشية والقصر كله فى
 نفس الوقت الذى كان الوباء يعصف فيه بالمدينة
 عصفاً شديداً ، ولا نشغل بالقصة نفسها إلا حين توشك

الفصول أن تنتهى ، هنالك تثار العقدة ويعلم الملك ومن حوله أن الآلهة غضاب ، وأن هناك مجرماً يجب أن ينزل به العقاب ، ثم يستبين للملك أنه هو المجرم فلا يفقد صوابه ولا يأخذه الهول ، وإنما يتحدث إلى أخته في حبها لملك أثينا وفي زواجها من هذا الملك ، ثم يعصف الندم بنفسه آخر الأمرحين تموت چوكاست فيفقأ عينيه . وقد لاحظ كورنى كذلك أن البيئة التى كان يكتب لها كانت من الترف ورقة الشعور بحيث كان يسوءها أن يظهر أمامها أوديب دامى الوجه بعد أن فقأ عينيه ، فلم يظهر الملك أمام النظارة وإنما قص آخرته وآخرة الملكة عليهم فى شعر قد يكون جميلاً رائعاً ، ولكنه لا يغنى عن الصورة الماثلة أمام النظارة شيئاً .

وقصة كورنى بعد ذلك لا تضيف فكرة جديدة إلى القصة اليونانية . ولست أدرى أمن الحق أن تسمى أوديب ،

أم من الحق أن تسمى درسيه Dircée وهو اسم الفتاة التي
 اخترعها كورني والتي تدور عليها القصة وعلى حبها أكثر
 مما تدور على أوديب وعلى محنته. وقد نقد فولتير قصة
 سوفوكل نقداً مفصلاً مسرف التفصيل. قاسه بمقياس
 العصر الذي كان يعيش فيه، فأظهر القصة اليونانية منحدرة
 متهاككة لا قوام لها من منطق ولا من دقة، ولا تكافؤ
 تظفر بحظ من إتقان. ثم عطف على قصة كورني، فإذ
 يعنفها من النقد اللاذع الشديد. ثم أذاع قصته هو، فإذ
 هي شر من قصة كورني، لم تضاف إلى القصة اليونانية
 جديداً، ولم تظفر من الجمال اللفظي بما ظفرت به قصة
 كورني العظيم. ويكفي أن نلاحظ أن فولتير قد وقع في
 نفس التخليط الذي وقع فيه كورني، أراد أن ينشأ
 حباً في هذه المأساة؛ لأن البيئة الفرنسية التي كان
 الأدباء يكتبون لها كانت تريد الحب في التمثيل. أراد أن

يناشئ حباً إذن ، فلم يجعل للايوس بنتاً كما فعل كورنى ،
ولكنه استكشف لچوكاست عاشقاً قديماً هو فيلوكتيت
Philoctète ، وقد عاد فيلوكتيت إلى ثيبا ليعيش قريباً من
عشيقته ، ولكنه يعلم أن زوجها قد قتل فيستأنف حبه
القديم ثورة جامحة ، إلى آخر هذا العبث الذى لا يزن شيئاً
بالقياس إلى جد الشاعر اليونانى العظيم . على أن من الحق
أن نعتذر عن قولتير ؛ فقد كان فى التاسعة عشرة من عمره
حين أنشأ هذه القصة . والشئ المحقق أن الشاعرين
الفرنسيين قد عنيا بالبيئة أكثر مما عنيا بالموضوع ، فأرضيا
قوما كانوا يحبون أن يلهوا ، ويكرهون أن يشقوا على
أنفسهم بالتأمل والتفكير فضلاً عن أن يشقوا على أنفسهم
بالنظر إلى المناظر التى تؤذى شعور الغايات المترفات .
ولأدع ما حاول الشعراء والكتاب بعد قولتير من
تجديد قصة أوديب لأصل إلى هذه المحاولة الأخيرة التى

أقدم عليها أندريه جيد وچان كوكتو بين الحربين . وهما
قد أقدما على هذه المحاولة في وقت واحد ، لم يسبق أحدهما
صاحبه ، ولم يعلم أحدهما بمحاولة صاحبه إلا بعد أن أظهر
كل منهما قصته . والفرق عظيم جداً بين القصتين . فأما
چان كوكتو فيسرف في التجديد والابتكار إسرافاً شديداً
لا يدعوه إليه تعمق الفكرة التي تدور القصة حولها ، وهي
فكرة الصراع بين سلطان القضاء وحرية الإنسان ، وإنما
يدعوه إليه الفن نفسه ، الفن الخالص الذي يروع النظارة
ويبههم ويحرص على أن يسحر أعينهم وأذانهم وعقولهم
أكثر مما يحرص على أن يدعوهم إلى التأمل والتعمق
والتفكير . فچان كوكتو ليس متهاكاً على الجذ ولا ممعنا
فيه ، ولعله يبغض التقييد بأصول الفن المقررة ، فأحرى
أن يبغض التقييد بقصة الشاعر اليوناني القديم . وهو من
أجل ذلك يتذكر بطلاً جديداً هو أوديب ، ويحيطه

بظروف توشك ألا تستبقي من اليونانية إلا الأسماء دون الحقائق ، وهو يعقّد قصته تعقيدا ويخالف فيها بين المناظر والفصول ، لا يتقيد بوحدة في الزمان ولا في المكان ولا في الحركة ، وإنما يكتبني بوحدة الموضوع .

فقصته تبدأ منذ قتل لا يوس ، وتنتهي بعد أن يفقأ أوديب عينيه . وإذن فهي تستغرق نحو عشرين سنة . تبدأ القصة حين تعرف المدينة مصرع الملك من جهة وحين يمتحنها أبو الهول بلعزّه من جهة أخرى . ونحن نرى في الفصل الأول ظل الملك القتييل يظهر لبعض الجنديريد أن يرى الملكة والكاهن ليحذرهما من خطر عظيم . ونحن نرى الملكة والكاهن يصعدان إلى حيث كان يظهر ظل الملك القتييل ، فنرى ملكة شابة حلوة الدعابة خفيفة الروح ، خائفة من ظل زوجها ، خائفة من الأحداث التي يمكن أن تلطم بها ، محبة مع هذا كله للحياة ولذاتها ، لا تكره أن

تداعب الكاهن الذي يداعبها أيضاً ، ولا تكره أن
تلاعب الجندي الشاب الذي رأى ظل الملك القتيل ،
وتظهر ميلاً شديداً إليه .

ونحن نرى في فصل آخر ما يكون من الصراع بين
أوديب الفتى المغامر وبين أبي الهول . ثم ما يكون من
انتصار الفتى . ونحن نرى في فصل ثالث زفاف چوكاست
إلى الملك الشاب ونشهد أول الشر ؛ فالكاهن محقق على
أوديب مشفق منه ، وليس كريون أقل منه حنقا ولا
إشفاقاً . ثم نرى نحن آخر الأمر ظهور الحقيقة ومصراع
چوكاست ، ونرى أوديب وقد فقأ عينيه ونفى نفسه من
الأرض وهم أن يخرج من القصر تقوده ابنته أنتيجون ،
وإذا ظل أمه وزوجه چوكاست يظهر ، فيراه أوديب
الضرير ولا يراه المبصرون من حوله ، ويتحدث فيسمعه
أوديب ولا يسمعه الآخرون من حوله ، وإذا چوكاست

تنبىء ابنها بأن الموت قد طهرها من الزوجية الآثمة ولم
يبق لها إلا الأمومة البرة ، وهي قد أقبلت لتقود ابنها
إلى منقاه وتعينه على احتمال الغربة .

فالقصة كما ترى رائعة بما فيها من اختلاف المناظر
وبراعة الاختراع وحسن التحدث إلى الحس والشعور .
ويظهر أن هذا كله يرضى الجمهور الضخم من النظارة
الباريسيين . فأما التحدث إلى العقل وأما مواجهة
المشكلات العليا وأما الصراع بين الدين والحرية فأشياء لم
يكن يحفل بها جان كوكتو ، ولم يكده يحفل بغيرها
أندريه جيد ؛ فأندريه جيد متتبع لسوفوكل في مجرى
قصته لا يخرج عن الخطة التي رسمها الشاعر القديم منذ
خمسة وعشرين قرنا . ولكن أوديب الذي ينشئه
أندريه جيد رجل قد تم نضجه الفلسفي بأرق معاني هذه
الكامة في القرن العشرين . يظهر في أول القصة مستجمعا

شخصيته كلها ، مستملا قوته كلها ، متحديا للناس متحديا
 للآلهة ، لا يؤمن إلا بنفسه ، يعلن إلى النظارة أنه رجل
 سعيد ، قد عمر أربعين سنة وملك عشرين عاماً ،
 واكتسب سعادته اكتساباً لم يرثها عن أحد . ويوشك
 هذا الاعتداد بالنفس أن يدفعه إلى الغرور ، وهو من
 أجل ذلك يخادع نفسه ويزعم لها غير مخلص أن الآلهة
 قد أعانوه ، لا يريد بهذا الخداع إلا أن يتجنب الغرور
 الذي كثيراً ما ورط الناس في الشقاء .

فالفكرة الأساسية في قصة أندريه جيد هي اعتداد
 الإنسان بنفسه وثقته بحريته واعتماده على قدرته التي
 تمكنه من اقتحام المصاعب وتذليل العقاب . وهذا
 الاعتداد بالنفس يسوء الناس جميعاً ؛ فالجوقة التي تمثل
 الشعب ضيقة بهذا الغرور مشفقة منه على مصير المدينة ،
 ويدفعها إلى الإشفاق والخوف هذا الوباء الذي يصب على

المدينة بلاء عظيماً . وقد أخذ الشعب الذي كان مفتوناً بالملك يتطير به ويهم في أن يكيد له بعض الكيدلي صرف إليه وحده غضب الآلهة من دون المدينة . والكاهن ساخط على الملك لأنه لا يخلص دينه للإله بل لا يؤمن بالإله . وأبناء أوديب قد اختلفت أهواؤهم : فأما الشبان فقد تأثروا بأبيهما ، فهما لا يؤمنان بشيء ولا يرجوان لشيء وقاراً ، ولا يكرهان أن يصبوا إلى أختيهما وأن يتحدثا إليهما كما يتحدثان فيما بينهما بهذه الصبوة الآثمة . أما أنتيجون وچوكاست فتأثرتان بالكاهن إلى أبعد حد ، حتى إن الفتاة لتوشك أن تهب نفسها للإله . وأما كريون فناعم بالحياة في هذا القصر لا يجب أحداً ولا يكره أحداً ، وإنما يجب نفسه ويحب الحياة ويستمتع بما يتاح له من لذاتها ، ويحافظ على التقاليد ما وسعته المحافظة . وعقدة القصة كلها هي

الاختلاف بين أوديب الذي يعتد بنفسه حتى يبلغ الغرور وحتى يجحد الآلهة ، والكاهن الذي يريد أن ييسط سلطان الدين وأن يسيطر من طريق هذا السلطان على كل شيء وعلى كل إنسان وعلى نفس الملك خاصة . وليس الوباء الذي ألمَّ بالمدينة وليس البحث عن مصدر هذا الوباء وليست استشارة الآلهة لتعرف هذا المصدر وليس استكشاف المجرم الذي قتل أباه وتزوج أمه — ليس هذا كله إلا مظاهر لهذا الصراع بين حرية الإنسان واعتداده بنفسه حتى يبلغ الغرور ، وبين سلطان الآلهة وتفوقه على غرور الإنسان .

فاذا تبينت الحقيقة وعرف أوديب أن سعادته لم تكن إلا غروراً ، وأن انتصاره على أبي الهول لم يكن إلا سراباً ، وأن ملكه الذي أسسه ونعم به لم يكن إلا امتحاناً — إذا عرف أوديب هذا كله ورأى امرأته وأمه قد قتلت نفسها

ورأى نفسه قد فقأ عينيه بيديه ، ظن الكاهن تيرسياس
 Tirésias أن الإله قد انتصر على غرور الإنسان ، وأن
 أوديب قد ثاب إلى رشده ، وأذعن لسلطان الدين . ولكن
 أوديب لم يخرج عن كبريائه ، ولم يستسلم للمحنة ، ولم يعترف
 بالهزيمة ، وإنما ثبت للخطب ، بل هو لم يفقأ عينيه إلا تحدياً
 لنفسه وللناس وللألم ، ومحاولة لبناء مجد جديد من طراز
 آخر معنوي غير هذا المجد الزائل الذي كسبه حين قهر
 أباه الهول وأسس الملك . وهو حين ينفي نفسه من الأرض
 لا يفارق المدينة منهزماً ولا مخذولاً ، وإنما يفارقها يائساً .
 لم يقهر اليأس نفسه ، وإنما رفعها فوق الناس وفوق
 أعراض الحياة . وهو ينصرف ساخراً من الشعب الذي
 أحبه ثم كرهه ثم أخذ يتملقه حين عرف أن بركة الآلهة
 متصلة بشخصه ، وينصرف ساخراً من كريون المحافظ
 الذي يرى الملك كل شيء ، وينصرف ساخراً من ابنه

الذين لا يفكران في الحياة إلا على أنها وسيلة إلى المتاع ،
وينصرف ساخرًا من الكاهن الذي يعظه ويريد أن يحمله
على الندم ؛ فهو لا يرى أنه قد فعل شيئاً يمكن أن
يندم عليه .

هذه هي القصة التي وضعها أندريه جيد ، وهي كما ترى
قريبة جداً من القصة اليونانية في موضوعها وفي غايتها ،
بعيدة جداً من القصة في صورتها من ناحية وإن
احتفظت بالجوقة وفي إتقانها للتفكير وتجنبها للتكلف
الشعري الغنائى الذى قد يروق ويعجب ، ولكنه لا يغنى
عن التفكير العقلى شيئاً .

ولست أدري أخطئ أنا أم مصيب ، ولكنى أعتقد
أن هاتين القصتين : قصة سوفوكل وقصة أندريه جيد
هما وحدهما اللتان تشهدان بأن محنة أوديب خليفة حقاً
بأن تكون موضوعاً للتفكير الذى يغذو العقل ، والفن

الذي يغزو القلب ، وبأن تكون من اجل ذلك صالحة
لتفكير الفلاسفة وابتكار الأدباء على مر العصور
واختلاف الأجيال .

وقد يكون مما يمتاز به قصة أندريه جيد من القصص
الأخرى التي حاولت تجديد القصة اليونانية أنها لم تقف
عند قصة أوديب ملكا ولكنها ألمت من قريب جداً
بالقصة الثانية التي وضعها سوفوكل وهي قصة أوديب
في كولونا .

وكان إلمامها بهذه القصة رائعاً حقاً ، لا أكاد أعرف
شيئاً يشبهه في جمال الإيجاز ودقته وكفايته بحيث
يستطيع قارئ هذه القصة أن يستوعب أمر أوديب كله
في غير مشقة ولا جهد .

فقصة أوديب ملكا تنتهي حين تموت جوكاست ويعاقب
أوديب نفسه ويدان أنه سيهاجر من وطنه . وقد رضى

كريون عن هذه الهجرة ، وابتهج بها الشعب ، وسكت عنها ابنا أوديب الطامعان في الملك اللذان اتقيا قبل أن يمتحن أبوهما على أن يكون الملك دولةً بينهما ، وأزمنت أنتيجون أن تصحب أباهما في منفاه ، وقررت إسمين أن تلحق بهما بعد قليل . ولكن الكاهن يعلن نجاة أن الآلهة قد أوحوا إليه انهم يصلون البركة بشخص أوديب ويكتبونها للأرض التي يدفن فيها بعد موته ، وإذا كل شيء يتغير إلا رأى أوديب ، فكريون يطلب إليه البقاء ملحاً في طلبه ، والشعب يطلب إليه البقاء متملقاً مترضياً ، ولكن أوديب يسخر من إلحاح كريون وتملق الشعب وتوسل الكاهن ، ويمضى إلى منفاه ساخراً من هؤلاء جميعاً .

وفي هذا الحوار القصير اليسير يوجز أندريه جيد خير ما في القصة اليونانية الثانية بحيث يخرج القارئ من قصة

أندريه جيد وقد عرف من أمر أوديب كل شيء : عرف
 بدء القصة وخاتمتها ، وعرف مكر الآلهة وغرور أوديب ،
 وعرف المحنة والمقاومة ، ثم عرف عفو الآلهة وانتصار
 الإنسان .

٤

والظاهر أن أندريه جيد قد فكر في قصة أوديب
 قبل أن يحاول إنشاءها بوقت طويل ؛ فهو معنى بأساطير
 اليونان يطيل التفكير فيها والحديث عنها ، ويلفته إليها
 بنوع خاص أنها مهما تكثرت فيها الأعاجيب وخوارق
 العادات ومخالفة المؤلف من قوانين الطبيعة تنهى دائماً إلى
 شيء من المنطق يردها إلى العقل ، وإلى ما يحمل العقل على
 التروية والتفكير فيما يفسر حياة الإنسان أو يتصل
 بمصيره أو بموقفه من القضاء .

نراه يكتب في ذلك بعيد انتهاء الحرب العالمية الأولى من
والسنة ١٩١٩ .

ثم نراه ينشئ قصة أوديب نحو سنة ١٩٣٠ ، فإذا
كانت الحرب العالمية الثانية وهاجر إلى إفريقيا
الشمالية نراه ينشئ قصته الثانية التي نترجمها مع قصة
«أوديب» وهي قصة «ثيسوس» . وهو ينبئنا في
إهداء هذه القصة بأنه كان يفكر في كتابتها منذ
زمن طويل . والواقع أنه يتحدث عن ثيسوس
وأسطورته في مقاله الذي أشرت إليه آنفاً والذي كتب
سنة ١٩١٩ ، فهو إذن يفكر في هذه القصة الثانية قبل
أن يكتبها بأكثر من عشرين سنة . والتفكير في هذا
البطل الأثيني لا يستقيم عند أندريه جيد كما أنه لا يستقيم
عند سوفوكل دون التفكير في أوديب . وحسبك
أن تذكر أن أمر أوديب قد انتهى في القصة الثانية

من قصتي سوفوكل بالتجاء البطل الممتحن إلى أتيكا
 والتماسه الأيمن والجوار عند الملك الأثيني ؛ فقد كان
 الشاعر اليوناني إذن يقرن أحد البطلين إلى صاحبه .
 وكذلك صنع أندريه جيد ، فستري في آخر قصة ثيسوس .
 حديثاً بين البطلين حين التقيا يدور كله حول مصيرهما .
 والواقع أن هذين المصيرين يختلفان أشد الاختلاف ،
 ولكن كلا منهما يدعو على ذلك إلى التفكير في الآخر .
 فقد أتيح الفوز للبطل الأثيني منذ نشأته الأولى ،
 وأتيح له على نحو متصل حتى كانت حياته كلها فوزاً لم
 يعرف فيها الشقاء إلا قليلاً ، على حين بدأت حياة أوديب
 شقية مملوءة بالحن ، ولم يكن ما أتيح له من السعادة
 إلا غوراً .

على أن آخره الرجلين مختلف أشد الاختلاف : فأمّا
 أعظمهما حظاً من الشقاء وهو أوديب ، فقد مات راضياً

عن نفسه وعن الآلهة ، مطمئناً إلى هذه السكينة التي
 أنزلت على قلبه . وأما أعظمهما حظاً من السعادة وهو
 ثيسوس فقد أنفق آخر أيامه منقياً طريداً ، نفته الثور
 عن وطنه ، ولم يجد عند الملك الذي استجار به مثل
 وجد عنده أوديب من الثقة والأمن ، وإنما وجد عند
 المكر والغدر والموت . فلاغرابة إذن في أن يفكر أندريه
 جيد كما فكر سوفوكل في الرجلين معاً . ولا غرابة إذن
 في أن نجمع ترجمة القصتين في سفر واحد ، وإن لم يفعل
 ذلك أندريه جيد ؛ لأنه قد أنفق أكثر من عشر سنين
 بين إنشائه لهاتين القصتين .

على أنى حين تحدثت إليه في الجمع بينهما في سفر واحد
 رضى عن ذلك كل الرضا . وقد عرفت منه في باريس أنه
 أشار على مترجمه الأمريكى بأن يصنع نفس هذا الصنيع ؛
 لأن القصتين تصدران عن تفكير واحد وعن مؤلف

واحد أمام مشكلات الحياة . ومع ذلك فبين القصتين اختلاف عظيم في الصورة الفنية : إحداهما تمثيلية كتبت للمسرح ، على حين أن الثانية نوع من المذكرات يقص فيها البطل الأثيني علينا حياته التي ملأها المغامرة في ألوان من الدعابة الحلوة أحياناً والجد المر أحياناً أخرى .

ولا يشك قارئ القصتين في أن أولاهما قد كتبت حين كان أندريه جيد قوياً سعيداً موفوراً مستكماً شخصيته كأحسن ما يستكمل الكاتب شخصيته . كان في الستين من عمره ، أو لم يكن قد جاوز الستين إلا قليلاً ، كان سعيداً بين أهله وأصدقائه ، راضياً عن نفسه وراضياً حتى عن مكر الناس به وكيدهم له وانتقاض بعضهم عليه . أما القصة الثانية فقد كتبها بعد أن جاوز السبعين ، بعد أن فقد زوجه وكثيراً من أصدقائه ، وبعد أن خضع لألوان من

الآزمات النفسية ، وبعد أن ذاق وطنه الهزيمة ، وذات
هو أشد ما يكون ذوقها مرارة ، وكتبها منفيًا عن وطنه
لا يعرف متى يعود إليه ، بل لا يعرف أيتاح له أن يعود
إليه . فهو مجاهد معاند متحد للأحداث والخطوب حين
يكتب قصة « أوديب » ، وهو هادي مطمئن حزين باسم
مع ذلك للأحداث والخطوب ساخر منها ، مؤمن بنفسه
واثق بوطنه ذائق حلاوة الصداقة حين يكتب قصة
« ثيسوس » .

ولذلك نرى أوديب يفرض نفسه على الأيام ويتحدى
الآلهة ويعاند القضاء ، ويخرج من المحنة ظافراً يريد أن
ينسى الماضي وألا يفكر إلا في المستقبل ، ونرى ثيسوس
قانعاً راضياً مطمئناً لا يفكر إلا في الماضي يستحضر من
اليسير والخطير ، ويجد اللذة في استحضار ما يستحضر
يتحدث به إلينا أو إلى نفسه ، مستمتعاً بهذا الحديث قبل

أن نستمتع به نحن ، لا يفكر في المستقبل ولا يريد أن يفكر فيه ؛ فهو لا ينتظر مستقبلا لأن حياته قد أشرفت على غايتها . وأنت تجد هذا الحزن المطمئن في الأسطر الأولى من القصة حين ينبئك بأنه كان يريد أن يقص حياته ليجد فيها ابنه موعظة وعبرة وتعلما ، ولكن ابنه قد مات ، وهو يقص حياته مع ذلك ؛ لمن يقصها ؟ لنفسه أولاً ، ولمن شاء أن يقرأها من الناس بعد ذلك . فهو قد تقدمت به السن ، وسبقه أكثر أصدقائه وأحبائه إلى الموت ، فأصبح عسير نفسه ، لا يستطيع إن أراد أن يسرّي عنها إلا أن يقص عليها ما كان له في صباه وشبابه وكهولته من الأحداث ، وما مر به من الخطوب وما تعرّض له من المغامرات ، يحيا في وقت قصير حياته الطويلة ، ويجدد بالذكري ما اختلف على نفسه من لذة وألم ، ومن أمن وخوف ، ومن أمل ويأس .

وهو ينتهى آخر الأمر بالموازنة بين حياته وحياة
صديقه أوديب ، فيرى بعد التفكير الطويل أنه كان أسعد
من صديقه حياة وأحسن حظاً ؛ لأن أوديب قد انتهى
إلى الزهد فى الحياة والنفور منها والفرع إلى هذا العالم
الداخلى يجد فيه الأمن والرضا على حين لقى هو الحياة كما
عرضت على الأحياء ، ولعب بالأوراق التى أتاحت القضاء
للناس أن يلعبوا بها . يئس أوديب من الناس واستيقن
آخر الأمر أنه لن يجد عندهم خيراً ولن يقدم إليهم خيراً ،
ووثق هو بالناس واستيقن آخر الأمر أن الحياة النافعة
القيمة هى التى لا تنتهى إلى الجذب ، وإنما تنتهى وقد تركت
من ورائها آثاراً يدوم انتفاع الناس بها وذكركم لها
وثنائهم على صاحبها .

وقد امتازت هذه القصة بما سترى فيها من هذه
الدعابة الحلوة والسخرية الهادئة ؛ فالبطل الأثينى يعرف

الناس كما ينبغي أن يعرفوا : يعرف قوتهم ويعرف ضعفهم ،
 ويعرف أن هذه القوة كثيراً ما تقوم على الضعف نفسه .
 قيل له إنه ابن الملك وتحديث الناس بأنه ابن إله البحر ،
 فهو يعتز بهذين النسبين : يعتز بنسبه إلى أبيه ليملك أثينا ،
 ويعتز بنسبه إلى الآلهة ليملك قلوب الناس ويسحر عقولهم .
 وهو فيما بينه وبين نفسه يكاد يقطع بأنه ليس ابن هذا
 ولا ذاك ، وبأن أباه غير معروف ؛ فقد يحدثنا
 بلوتارك بأن كثيراً من هؤلاء الأبطال كانوا يولدون
 لغير أب معروف فينتسبون إلى الآلهة ، ولا ينكر
 الناس من نسبهم شيئاً لحسن بلائهم ولما يحققون من
 عظام الأمور .

ويحدثنا ثيسوس بأنه قتل رجلاً كان يظن به السوء
 وقطع الطريق ، ثم تبين بعد ذلك أنه كان رجلاً خيراً نفاعاً
 للناس ، فكاد يندم على قتله ؛ ولكن الشعب حين عرف

أنه هو قاتله ، لم يتردد في أن يقرر أنه كان مجرماً أثمياً .
وكذلك تدعن الشعوب لملوكها وتسبق إلى التماس المعاذير
لهم حين يخطئون .

وما أكثر ما نرى في هذه القصة أخلاق أندريه جيد
نفسه ، فأبغض شيء إلى ثيسبيوس أن يقيد نفسه بما يمنعه
من العمل ومن التقدم إلى أمام ؛ فهو يحب ولكن
بشرط ألا يمسه الحب عند خلية بعينها ، وهو يصادق
ولكن بشرط ألا تقفه الصداقة عن أن يمضي لما يريد ،
وهو من أجل ذلك يتخلص من أريان Ariane بعد
أن نجته من اللابيرانت labyrinth ويؤثر عليها أختها ،
كما أنه لا يحفل بمشورة صديقه بيريتوس Pirithoüs
ولا يقف عند رأيه ، وإنما يمضي لما أراد غير حافل
بفقدان الصديق الذي أوشك أن يعوقه عما يرى
فيه خيراً .

كل شيء في هذه القصة يصور حرص الملك على أن يحقق نفسه ويعتمد عليها ، ولا يعتمد إلا عليها ، ينفع الناس ولكن لا يعنيه أن يرضى الناس عنه أو يسخطوا ، بل هو لا يكره أن ينفعمهم على رغمهم . وإذا كانت قصة أوديب تصور الشخصية القوية المجاهدة المعاندة التي لا تؤمن بشيء كما تؤمن بالحرية ، ولا تحرص على شيء كما تحرص على الحرية ، ولا تعرف الهزيمة ولا تدعز للخطوب ، فقصة ثيسوس تصور الشخصية القوية التي جاهدت وعادت وانتصرت على الأحداث والخطوب حتى إذا بلغت آخر الشوط نظرت إلى وراء بعد أن لم تكن تنظر إلا إلى أمام ، فرضيت عن نفسها وحمدت بلاءها ، وانتظرت الموت آمنة مطمئنة .

والقصتان تنتهيان إلى غاية واحدة ، ولكنها في الوقت نفسه مختلفة : فقد مات أوديب راضياً ومات

ثيسوس راضياً أيضاً ، ولكن أحدهما وجد الرضا في العالم الداخلى الفلسفى ، على حين وجد الآخر هذا الرضا فى العالم الخارجى الإنسانى . وما أعظم الفرق بين رضى مصدره اليأس من الناس ورضى مصدره الثقة بالناس !

طه حسين

آثرت فى هذا الكتاب إيراد الأسماء اليونانية كما ينطقها ويرسمها الفرنسيون . ويرى القارىء فى آخر الكتاب تبييناً لما قد يحتاج إلى تبيين من هذه الأسماء .

أوديب

الفصل الأول

« لقد ملئ العالم بالمعجزات ، ولكن
لا أشد إجازا من الانسان . »
[سوفوكل من حديث الجوقة في قصة أنتيجون]

أوديب

هانذا أحضر وقد استجمعت شخصيتي كاملة في هذه
اللحظة من لحظات الزمان السرمدي ، أشبه شيء بشخص
يظهر على مقدمة المسرح قائلا :

أنا أوديب ، قد عمرت أربعين سنة ، وملكت عشرين
عاما ، وبلغت بقوة ذراعي قمة السعادة . لقد كنت لقيط
لا يُعرَف له أصل ، ولا يحمل ما يثبت شخصيته ، وأنا
الآن أسعد الناس بأني لست مديناً بشيء للإنسان .
توهب لي السعادة ، وإنما أخذتها قسراً . وأنا من أجل
ذلك عرضة للغرور . وقد أردت أن أتجنبه ، فسألت
نفسى ألم يكن في أمرى أثر للقضاء والقدر ؟ أعمد بهذا
السؤال إلى أن أعصم نفسي من دوار الكبرياء هذا الذي
تزلّ له أقدام كثير من أبعاد القادة صوتا وأعظمهم
امتيازاً . . . هلمّ ! هلمّ ! يا أوديب ! لا تغامر بنفسك
في كلام طويل توشك ألا تحسن الخروج منه . قل في يسر
ما تريد أن تقول ، ولا تشع في ألفاظك هذا الورم الذي
تحرص على أن تتقيه في حياتك . كل شيء يسيرٌ ، وكل
شيء يأتي في إبانه . فكن يسيراً وكن صائبا كالسهم

إمض إلى غايتك في غير عوج ولا التواء ... وهذا يردني إلى ما كنت أقول آنفاً . نعم ! إذا ظننت أحياناً أنني صنيعة الآلهة، ومصدر ذلك رغبتى فى التواضع والاعتدال ، وفى أن أرد إليهم فضل ما كتب لى من تفوق ، فمن العسير ألا يتعرض مثلى للغرور والكبرياء . وسببى إلى القصد أن أزمع أن فوقى قوة مقدسة أخضع لها راضياً أو كارها . ومن ذا الذى لا يُدعن مطمئناً لقوة مقدسة ترقى به إلى حيث بلغت ! إن إلهاً يقودك يا أوديب ، وليس فى الأرض اثنان يشبهانك . بذلك أحدثت نفسى فى أيام الآحاد والأعياد ، فأما فى سائر الأيام فأبى لا أجد الوقت للتفكير فيه . وما أنا وهذا كله ؟ إنى لسيء التفكير ، ليس حسن المنطق من خصائصى ، وإنما أنا أصدر دائماً عن الحدس . من الناس من يسأل نفسه فى كل فرصة ، وفى كل موطن تزدهم فيه العربات : أيجب أن أتأخر ؟

أمن حتى أن أمضى إلى أمام؟ أما أنا فأمضى في حراتي كأن
إلهنا يرشدني إلى ما أريد .

الجوقة في مقدمة المسرح وقد انقسمت
تسمين ، أحدهما عن يمين والآخر عن شمال

الجوقة [بقسمها]

نحن الجوقة ، التي كُلفت في هذا المكان أن تمثل
رأى أضخم عدد ممكن من الناس ، نعلن دهشنا وحزننا
أمام هذه الشخصية الممعة في إيمانها بنفسها . فهذا الشعور
الذي يظهره أوديب لا يقبل من غيره إلا إذا ألقى من
دونه حجاب .

وليس من شك في أن من الخير للإنسان أن يترضى
الآلهة . ولكن أقوم السبل إلى ذلك أن ينجاز إلى رجال
الدين . وإن أوديب ليحسن إذا استشار تيرسياس ،

فهو الذى يمك إرادة الآلهة . إن أوديب ليظهر العناية بنا وهو يوشك أن يغضب الآلهة علينا ، ولعله أن يكون مصدر هذه الآلام التى تبهظنا الآن [فى صوت خافت] سنشترى رضاهم ببعض الضحايا التى لا يرتفع ثمنها وبعض الصلوات التى يحسن توجيهها ، وسنباعد ما بيننا وبين ملكنا فنحوّل إليه وحده العقاب على هذه الكبرياء التى تستوجب العقاب .

جوقة الممين [إلى أوديب]

لا يشك أحد فى أنك سعيد وإن كنت تسرف فى إعلان هذه السعادة ، ولكننا نحن لسنا سعداء . نحن شعبك . أى أوديب نحن شعبك لسنا سعداء . وددنا لو نحو هذا عليك ، ولكن هذه القصة لن تاخذ طريقتها إلا إذا حدثناك بنبأ مروّع . إن الطاعون ، مادام يجب

أن نسميه باسمه ، مازال ماضيا في دفع المدينة إلى الحداد .
وقد عوفيت منه أسرتك إلى الآن ، ولكن من الملائم
ألا يغضى الملك عما يصيب أمته من الرزايا وإن لم يصبه
منها طرف .

جوقة الشمال

على أننا لانكاد نشك في أن بين سعادتك وشقائنا
صلة خفية ، بذلك تلمح لنا احاديث تيرسياس . ومن الخير
أن نتعرف جليلة الأمر فيه . سينبتئنا بذلك أبو لون ،
فأنت قد أرسلت الرجل الكريم كريون صهرك إلى معبد
الايله ، وسيعود إلينا عما قليل بما ننتظر في لطفة من
جواب الوحي .

أوديب

ها هو ذا مقبلا !

مدخل كريون

أوديبي [إلى كريون]

وإذن ؟

كريون

أليس من الخير أن نتحدث منفردين ؟

أوديبي

لماذا ؟ إنك تعلم أنى أزدري الرياء والخواطر
المستورة فستقول إذن كل شيء أمام كل الناس . إلى
ذلك ادعوك ، بل بذلك أمرك . من حق الشعب أن
يعلم كما أعلم أنا كل ما من شأنه أن يدفع عنه الضر .
على هذا النحو وحده يستطيع أن يعيننى على دفع البلاء .
ماذا قال الوحي ؟

أوديبي - ثيسبوس

كريون

بالضبط هو ما كنت أخاف ، وهو أن في المملكة
شيئاً قد شمله الفساد .

أوديب

قف . ليس محضر الشعب كافياً . يجب أن تُدعى إلى
هذا المكان أختك چوكاست وأبناؤنا الأربعة .

كريون

إسمع لي ، إني أحمد لك دعاء چوكاست ؛ فأنت تعلم
أن شعور الأسرة شديد السلطان على نفسي ، وهي مع ذلك
تستطيع أن تشير علينا فتحسن المشورة . أما الفتية فيخيل
إليّ أنهم أصغر سنّاً من أن يشاركو في هذا الحديث .

أوديب

ليست أنتيجون طفلة . أما إتيوكل وپولينيس فهما كما
كنت في سنهما ، ليسا غيبين وفيهما جراءة وإقدام ، فمن
الخير أن ندعوها وأن نشغلها ببعض الهم ، أما إسمين فلن
تفهم شيئاً .

تدخل چوكاست وأبناء أوديب الأربعة

أوديب [إلى چوكاست]

إن أخاك قادم من پيتو (١) . وقد أردت أن تكونوا
جميعاً حولي ؛ لنسمع جواب الآله . هلمَّ يا كريون ،
تحدث الآن : ماذا قال الوحي ؟

كريون

قال إن الآله لن يحول غضبه عن ثيبا حتى يثار للايوس .

أوديب

يشأر له من ماذا؟

كريون

ألا تعلم أن الذي تخلفه في سرير أختي چوكاست وعلى
العرش قد مات مقتولا؟

أوديب

أعلم ذلك، ولكن لم يعاقب الجرم؟

كريون

لم تستطع الشرطة أن تأخذه . بل يجب أن نعرف
بأن البحث عنه لم يتصل .

أوديبي [إلى چوكاست]

لم تنبئيني

چوكاست

لقد كنت تقاطعني يا صديقي كلما حاولت أن أتحدث
إليك . وكنت تصيح : كلاً لا تحدثيني عما مضى ، فلست
أريد أن أعلم من أمره شيئاً . لقد بدأنا عصرأ ذهبيا . كل
شيء يتجدد

كريون

وكانت كلمة العدل إذا نطق بها فك تؤدى معنى العفو .

أوديبي

لو كنت أعرف الخنزير الذى . . .

چوکاست

هوئن علیک یا صدیقی ! هذا تاریخ قدیم . لا تعدد إلى
ما مضی .

أودیب

کلاً لن أهوئن علی نفسی ، بل أنا أرید أن أعلم من
ذلك . أقسم بالجحیم لن أنتهی حتی أظفر بالمجرم . سألتسه
حیثما یكون وأقسم إنه لن یفوتنی . کم مضی علی ذلك
من وقت ؟

چوکاست

كنت أیماً منذ ستة أشهر حین خلفت لایوس ، وقد
مضی علی ذلك عشرون عاماً .

أوديب

عشرون عاماً في حياة سعيدة . . .

تيرسياس

. . . وهي أمام الإله كيوم واحد .

وقد دخل تيرسياس مع أنتيجون وإسمين دون
أن يلاحظ . وهو ضريح قد اتخذ لباس الكهنة

أوديب

يا للآلهة ! إن هذا الرجل لثقيل ! يقحم نفسه دائماً
في أمور الناس . من طلب إليك الحضور ؟

چوكاست [إلى أوديب]

يا صديقي لا ينبغي أن تتحدث على هذا النحو أمام

الصغار . فمن الخطأ أن ننقص من سلطان الرجل الذي
اتخذناه لهم مربياً وأستاذاً والذي يجب أن يرافقهم دائماً .
[ملتفتة إلى تيرسياس] . كنت تقول . . .

تيرسياس

لا أريد أن أسوء الملك .

أوديب

لا يسوءني ما يقال ، بمقدار ما يسوءني ما تضره
النفوس ولا تقوله الألسنة . تكلم .

تيرسياس

سنتحدث منفردين يا أوديب عن سعادتك . . . عما
تسميه السعادة . أما الآن فالأمر يعني شقاء الشعب . أي

أوديب إن الشعب يألم ولا يمكن للملك أن يجهل هذا الألم .
 إن الإله ينشئ صلة خفية بين السعادة التي تتاح لقليل من
 الناس والشقاء الذي يُفرض على أكثرهم . إن اسم الإله
 يتردد كثيراً على لسانك يا أوديب . وما ينبغي أن ألومك
 في ذلك ، وإنما ألومك في أنك تتخذ من الإله مُقِرّاً
 لملك لا قاضياً لك ، وفي أنك لا تضطرب أمامه خوفاً .

أوديب

لم اكن قط ما يسميه الناس هيبابا .

ثيرسياس

كلما عظمت شجاعة الإنسان أمام الناس اشتد رضا
 الإله حين يراه خائفاً أمامه مضطرباً من الخوف .

أوديب

لو أنى اضطربت أمام أبى الهول لما استطعت أن
أجيبه ولا أن أصير ملكا .

الجوقتان

أى أوديب ، أى أوديب ! عبثا تحاول . إنك لتعلم أن
أحداً لا يستطيع أن يستأثر بالكلمة الأخيرة دون
تيرسياس ، وإن كان ملكا .

الجوقة الأولى

لقد قهرت أبا الهول ، ولكن تذكر أنك أبيت فيه
بعد ذلك أن تحمل بزجر الطير .

الجوقة الثانية

ولما كانت هذه تؤرِّق نومك ، فقد دفعتنا إلى الإيم
حين أذنت لنا في صيدها على الرغم من تحريم تيرسياس
لهذا الصيد .

الجوقتان

لقد كنا نتخذ من الطير طعاماً شهياً ، ولكننا لم
نلبث أن تبيننا الخطيئة حين رأينا الإله الساخط يسلط
الدود على زراعتنا .

الجوقة الأولى

وإذا كنا قد أخذنا أنفسنا بالصوم في ذلك العام ،
فإنما أردنا التكفير عن خطيئتنا .

الجوقة الثانية

ولأننا لم نكن نوجد ما نأكل .

الجوقتان

ولذلك فنحن على إيثارنا طاعتك ننصح لك بالإصغاء
إلى ما يقوله تيرسياس .

أوديب [إلى ابنه]

إن الشعب يؤثر دائماً تفسير ما يعرض له من الأحداث
بالأسرار الغامضة على تفسيرها بأسبابها الطبيعية ، ليس
إلى تغيير هذا من سبيل [إلى تيرسياس] هلم ! امض
في حديثك .

تيريسياس

تستطيع شرطة الملك أن تبحث عن مجرم ، ولكن
إلى أن تجده أرجو أن تأخذوا جميعاً أنفسكم بالندم ،
فلكم خاطيء أمام الإله ولن نستطيع أن نتصور إنساناً
قد برىء من الخطايا . فليعكف كل منكم على نفسه ،
وليحاسب ضميره ، وليندم على ما قدمت يداه . وفي
أثناء ذلك سنقدم من الضحايا ما يهدى من غضب الإله
الذي يمتحن المدينة بهذا البلاء . لقد جلّ عدد الموتى
عن الإحصاء ، ويستطيع پولينيس الذي كان يسايرنى آنفاً
والذي رأى ما لم أكن أرى أن ينبئك بذلك .

پولينيس

أجل يا أبت ! لقد رأينا غير بعيد من القصر جماعة من

المطعونين قد دنسهم البراز والقيء وهم يتلوون من الآ
 ويعين بعضهم بعضا على الموت ، وكان الجو من حوله
 يضطرب بما يبعثون من حشرجة وأنين ، ومن زفران
 ونظرات . . .

كريون

حسبك ! حسبك ! . . .

إسمين يأخذها الاغما

أوديبي

هذه الصبية يغشى عليها الآن .

إتيوكل [إلى بولينيس]

ما كان لك أن تقص هذا كله أمام أختك .

أوديب [إلى جوكاست]

أرجو أن تخرجني هؤلاء الصبية .

يخرجون وهمهم تيرسياس

لينصرف الشعب فإنني أريد أن أخلو للتفكير .

يبقى اوديب ومعه كريون

كريون

متناقض كغيرك من الذين يرسلون أنفسهم على

سجاياها . ما نفع هذا القسم الذي أقسمته آتفا ؟

أوديب

أي قسم ؟

کريون

أترى؟ لقد أنسيته! ولكن الشعب، ولكن أبناءك
لن ينسوه، وما زال تيرسياس قادراً على أن يذكرّك به.
لقد أقسمت لتتأرن للملك.

أوديب

هذا حق. لماذا لم يحاكم المجرم؟

کريون

لقد طويت القضية.

اوديب

من الذي طواها؟

كريون

أنا الذي طواها أولاً حين كنت وصياً على العرش .
فقد رأيت من الخطأ أن ألفت إليها الشعب وأن ألقى في
روعه أن الملك يمكن أن يقتل كغيره من الناس .

أوديب

نعم ! ولكنه يعلم ذلك الآن .

كريون

ولم ترد چوكاست أن يجرى التحقيق لأنها رأت في
كثير من الحكمة أن أول عهدك بالملك لا ينبغي أن
يشيع فيه الظلام .

أوديب

لقد حرصت چوكاست دائماً على أن تحوط سعادتي ،
 إنها كاملة ، چوكاست . أيّ زوج هي ! أيّ أمّ هي !
 أما أنا فلم أعرف أمي قط وإني لأحب چوكاست حب
 البنوة والزوجية معاً . قل لي . أكانت تحب زوجها
 الأول ؟

كريون

أقل مما تحبك من غير شك .

أوديب

قل لي أيضاً . . . ألم يولد لهما الولد ؟

كريون

هذه قصة أخرى . لست أدري أمن حتى أن
أقصها عليك ...

أوديب

لم يكن من حقا أن تشير إليها فأما وقد فعلت ، أما
الآن فأريد أن أعلم .

كريون

إذن فهناك القصة : لم يكونا يريدان الولد ، لأن
الوحي ...

أوديب

الوحي أيضاً ... ؟

كريون

... تنبأ بأن لا يوس سيموت مقتولا بيد ابنه .
ولكن في ليلة من ليالى الحب الذى لاحذر فيه ...

أوديب

لقد فهمت عنك . وماذا كان من أمر هذا الطفل
الذى أنتجه الهيام ؟

كريون

كان غلاما لم يكد يولد حتى دُفع إلى راع كُلف
هذه المهمة الحزينة ، مهمة إلقائه على الجبل حيث التهمت
الوحوش الضارية .

أوديب

ألا يزال هذا الراعي حيا ؟

كريون

إنك لتسرف على في السؤال . أتريد نصيحتي ؟ لا تشق
نفسك بهذا . وعش سعيداً .

أوديب

مع هذه الشوكة في وسادتي أخشى ألا يتاح لي النوم
منذ الآن . على أنك قد سمعت أن الإله يطلب عقاب القاتل .

كريون

أيها العزيز أوديب إن الوحي الذي يسيغه الشعب

لا ينبغي أن يخيفنا نحن الحاكمين . ينبغي أن نتخذ منا
 وسيلة لتقوية السلطان ، وأن نؤوله كما نشتهي . لقد أنبأنا
 بأن لا يوس سيموت مقتولا بيد ابنه ، فقد هلك هذا
 الابن ولم يمنع ذلك من قتل لا يوس . ولو قد عاش لما
 أتيح لك أن ترقى إلى عرشه . فلا تشق نفسك بموته ولا
 تكلفها العناء لتعلم كيف مات . إن كان بعض الناس قد
 قتله فإنما فعل ذلك من أجلك . لقد هيأ لك الفرصة ، فما
 ينبغي لك أن تعاقبه ، وإنما يجب عليك أن تحسن إليه .

أوديب

ولكن ما عسى أن يقول تيرسياس .

كريون

أتخافه ؟

أوديپ

لا أكاد أخافه ، ولكن الشعب يسمع له ، وربما أثار
صوته في نفسى بعض الاضطراب . نعم ! جرس صوته
كأنه يخرج من الجحيم . ها هو ذا مقبلا من جديد . إنه
ليسمى دون أن يسمع خطوه . ماذا تريد يا تيرسياس ؟

دخل تيرسياس

تيرسياس

أى أوديپ إن الملكة تريد أن تتحدث إليك . إنها
تنتظرك في القصر .

أوديپ يتعد . تيرسياس إلى كرون

إنما أردت أن أخلو إليك ، لقد سمعت كل ما قلتما .

کريون

أكنت تتسمع؟

تيرسياس

لست في حاجة إلى أن أسمع لأسمع . إني أعرف
ما يجول في النفس قبل أن أسمع صوت المتكلم . أي
کريون ليس من الخير أن تطمئن أوديبي .

کريون

ماذا تريد أن تقول؟

تيرسياس

أريد أن أقول إنه يسرف في الاطمئنان ، وإن نفسه

كالإناء المطبق لا سبيل إلى أن يبلغها الخوف . وإن
سلطاني كله إنما يأتي من خوف الإله . إن هذه السعادة
المطمئنة آثمة . إن عليك أن تحدث فيها صدعا .

كريون

لماذا ؟

تيرسياس

من هذا الصدع يصل الإله إلى قلبه . إن پولينيس
وإتيوكل يفلتان مني . إن شعوري بذلك يزداد من يوم
إلى يوم . ستنبئك بذلك چوكاست . إنهما يتأثران أباهما
ويريان ان من الممكن أن يتحررا من هذا السلطان الذي
ينبغي أن يدعن له كل إنسان . إني لا أتحدث إليك عن
نفسى ، وإنما أتحدث إليك عن الإله الذي أمثله وعن

چوكاست ، وعن أنتيجون هذه الفتاة التقية ، وعن
الشعب آخر الأمر . عن هذا الشعب المروّع الذي يرى
أن ما يلمّ به من الكوارث إنما هو عقاب له على ما يظهر
ملكه من الإلحاد . ثم كيف تستطيع أنتيجون أن تكبر
أباً ، وكيف تستطيع چوكاست أن تحب زوجا يتحول قلبه
عن الإله الذي توارثه جميعاً بالإجلال ! وأنت نفسك
يا كريون يجب أن تفهم أن مما ينفع الناس جميعاً أن يدع
الملك لسلطان قوة قاهرة يستطيعون أن يفرغوا إليها
حتى منه هو .

تدخل چوكاست

چوكاست

إن أوديب شديد الحزن لما قصصت عليه من نبأ . إن
أنتيجون تريد أن تخلص للدين .

كريون

تريد أن تكون كاهنة؟

تيرسياس

ليس في ذلك ما يدهش . إن هذه الفتاة العزيزة تريد
أن تقوم بذلك ما في فجور أبيها من عوج .

چوكاست

لقد أفضت إليّ بهذه النية التي يجب أن تظل سرّاً ،
والتي لم يظهر عليها أخواها بعد .

كريون

آه ! يا للفتاة البائسة !

تيرسياس

بأسة لماذا؟ ستجد عند الإله سعادة أوثق من سعادة
أوديبي : نعماً مقدساً قوامه الخضوع لا الكبرياء .

كريون

أقدر كذلك أن شقاء الشعب قد أثر في نفسها .

چوكاست

إنها تلح علىّ في أن أدعها تعني بالمرضى ، وقد أبيت عليها
ذلك ؛ لأنه ليس من شئون الأميرات . هنالك قالت لي :
فلا أصل من أجلهم ولا ضرع إلى الإله في أمرهم ، وربما
ضرعت إليه في أمرٍ . ثم قطع البكاء صوتها فلم تتمّ .

تيرسياس

في أمر شخص آخر أشد منهم مرضاً .

كريون

أكانت تفكر في أبيها ؟

تيرسياس

من غير شك . كيف تلتقي أوديبي هذا النبأ ؟

چوكاست

مغضباً محزوناً اول الأمر ، ثم صائحاً لأنه يعرف في
هذا صنع تيرسياس .

تیرسیاس

لست إلا أداة الإله، وما دام الإله يتخذني أداة
لإنفاذ أمره فلن يقف هملي عند هذا الحد.

چوکاست

ما أعظم حظ هذا الزوج الحبيب إلى من الثبات
والفضيلة والشجاعة! إن الواجب يفرض علينا يا تيرسیاس
أن نرده إلى طاعة الإله.

تیرسیاس

يجب على كريون أن يعينني . يجب عليه أن يززع ثقا
الملك بنفسه فيُعيدهُ بذلك لحسن الاستماع لي .

كريون

سأحاول ، ولكنني لست واثقاً بالنجح فإن أوديب
لا يلقى السمع إلى من يثقل عليه .

تيرسياس

سيهديك الإله كما يهديني إلى الوسيلة التي تمس
بها قلبه .

كريون

لم يُعنَ الإله كثيراً بهدايتي قط .

تيرسياس

إنه لا يحسن العناية إلا بهداية العميان .

چو کاست

إني أعتد عليك يا تيرسياس ، فمن طريقك يأتينا العلم
بإرادة الإله القدير .

الفصل الثانى

« أى أوديب أيها الذى ولد فى غير
احتياط وكان السكر له اباً . »
[أوربيد : الفنيقيات .]

يتقدم أوديب وكريون وهما
يمضيان فى حديث كانا قد بدأه

كريون

... لو لم نكن متباينين إلى هذا الحد لما وجد أحد
منا هذه المتعة حين يفهم عن صاحبه : وإنى أيها الصهر
العزيز لأحب حديثك ؛ لأنك تفتح لى آفاقاً لم أكن

لاهدى إليها وحدي : فلك الابتكار والتجديد . أما أنا
فريقيدي الماضي ، وأنا من أجل ذلك أحترم التقاليد
والعادات والقوانين المقررة . ولكن ألا ترى أن من
الخير للدولة أن يمثل هذا كله ، وأنى أحقق التوازن
المفيد بإزاء عقلك المجدد ، فأحول بينك وبين الاندفاع
وأهدى من مغامراتك الجريئة التي توشك أن تحطم
نظام الجماعة إذا لم تؤخذ بشيء من القصد يأتيها من هذا
السكون ومن هذا التشبث بالقديم . . .

أوديب [في شيء من الذمول]

هذا ممكن .

كريون

إن شعور الأسرة شديد السلطان على نفسي ، وأنت

من هذه الأسرة ، وأمر ابنائك يعنيني كأمر ابنائي
فأذن لي في أن أجد شيئاً من القلق على صحة إسمين ، فهي
عصبية ، وقد لاحظت ما أصابها أمس من الإغماء حين
سمعت حديث أخيها . . .

أوديب

إن هذا الإغماء لم يطل .

كريون

ومع ذلك فيجب أن نُعنى بها فنحملها على شيء من
الرياضة . . . وكذلك چوكاست يُخَيَّل إلى أنها لا تستمتع
بالصحة الكاملة منذ أيام ، فهي قلقة لما يصيب الشعب من
شقاء ، فمن الحق عليك أن تحاول تسليتها .

أوديبي

حَسَنٌ ، حَسَنٌ !

كريون

وسأحدثك عن ابنيك حين يتاح لنا شيء من فراغ .
فتيرسياس أستاذ كييس ، ولكنهما لا يظهران حسن
الاستماع له . قد ورثا عنك شيئاً من العناد لا أحققه ،
فهما ثأران . هل قرأ عليك إتيوكل خواتمه التي صور
فيها بلاء العصر ؟

أوديبي

صور فيها الطاعون ؟

كريون

كلا . . . بلاء العصر مع عنوان آخر هو قلقنا .
وهو بالطبع يقصد إلى قلق عقليٍّ ممتاز . إن هذا الفتى
لغريب حقاً . وليس پولينيس اقل منه جمالا وقوة
وذكاء . إنهما يشبهانك من غير شك حين كنت في
سنهما . ولعلك ترى نفسك فيهما .

أوديب

أحيانا .

كريون

أنتم من طائفة القلقين ، ولكنهما على الأقل يريان
ماضرت لهما من مثل . أما أنت فقد كنت ترى نفسك

غريباً عند پوليب . . . أليس هذا هو الذى حملك على
مغادرة قصره ؟ ألم تكن تجد الرضا عنده ؟

أوديب

كنت أجد عنده كل ما أحب ، ولكنى أكره أن
أدلل . وكنت أعتقد فى ذلك الوقت أنى ابن پوليب . ثم
أقبل إلى القصر ذات يوم كاهن كان يتحدث إلى الناس
بأمر مستقبلهم ، وكان كل واحد يريد أن يسأله عما يضمن
له الغيب . فلما جاءت نوبتى امتقع لونه وأبى أن ينبئنى
بأمرى أمام الناس ، ثم انقردبى وأنبأنى بأنه قد كتب على
أن أقتل أبى . ضحكت أول الأمر لهذه النبوءة ، ولكنى
رأيتة يلحّ ويؤكد ، فلم أر بأساً بشيء من الاحتياط ،
وكان أول ذلك أن أصرح پوليب بالأمر ، وأن أنبئه
بأنى فراراً من هذه النبوءة السيئة سأفارقه إلى آخر

الدهر مهما يكلفني ذلك من مشقة ، فقد كنت أحبه .
 هنالك أنبأني ليردّ الطمأنينة إلى قلبي بأنني لست ابنه ،
 وإنما تبناني ، فما ينبغي إذن أن أخاف أن تتحقق هذه
 النبوءة فيما يتصل به . ولم يستطع أن يبيّن لي عن أبي
 شيئاً ، وإنما حدثني بأن راعياً من رُعّاته وجدني في
 الجبل وقد علقت كالثمرة من إحدى رجليّ إلى غصن
 دانٍ لبعض الشجيرات (وهذا هو الذي جعلني أعرج
 قليلاً) وجدني عارياً معرضاً للريح والمطر كما يُطرح
 الطفل الذي يُنتجه الحب الآثم ، والذي يراد التخلص
 منه لأنه جاء على غير انتظار ليفسد على المحبين
 أمرها . . .

كريون

طفل لغبيّة . لا بد أن يكون ذلك قد آذاك .

أوديب

كلا ! لم يؤذني . ولعل مما يسرنى أن أعرف أنى لم
اولد لرشدة ؛ فقد كنت أتكلف كثيراً من الجهد لأقلد
پوليب حين كنت أعتقد أنى ابنه . وكنت أقول لنفسى
أى شىء فىّ لم أرته عن آبائى . وكنت أسمع لدروس
الماضى ، وأنتظر من أمس وحده إقرار ما عملت وإملاء
ما ينبغى أن أعمل . ثم تنقطع الأسباب فجاءة ، وإذا أنا
قد نجمت من المجهول ، فليس لى ماضٍ وليس لى نموذج
أحتذيه ، وليس لى شىء أعتمد عليه ، وإنما يجب أن
أبتكر كل شىء : أن أبتكر الوطن ، وأن أبتكر الأجداد
وأن أخترع كل شىء وأستكشف كل شىء . ليس هناك
شخص يمكن أن أشبهه إلا أن أكون أنا هذا الشخص .
وما الذى يعنينى إذن أن أكون من أبناء اليونان أو من

أبناء اللورين ؟ كيف تستطيع يا كريون وانت المثقل
 بقيود الماضي الملائم للتقاليد الموروثة في كل شيء ، أن
 تقدّر ما في هذه الحاجة إلى ابتكار كل شيء من روعة
 وجمال . إن جهل الأبوين دعاء إلى مضاء العزم .

كريون

ولسكن فيم تركت پوليب بعد أن ردك إلى الاطمئنان ؟
 فقد كنت متبناه ولم يكن له وارث ، فكنت خليفاً أن
 ترقى بعده إلى العرش .

أوديب

لست أكره شيئاً كما أكره الاستئثار بما ليس لي فيه
 حق ، ولا أريد أن أنتفع بشيء إلا إذا اكتسبته بالعزم
 اكتساباً ، وكنت أجد في نفسي فضائل كأنها كانت نائمة ،

ولم أكن أطيق لها هذا الحمد . وكنت أشعر أنى بهذه
الحياة التى كنت أحيها فى قصر بوليب راضياً ناعم البال
إنما كنت أضيع ما كتب لى من حظ .

كريون

من الطبيعى أن أرى غير ما ترى ؛ فلو قد كنت
مجهول النسب لكان من الممكن أن أتكلف من الخصال
وأطلب من المزايا مثلك ما لم يقدر لى من طريق الوراثة .
ولكنى أنا ابن ملك وأخو ملك لا أستطيع إلا أن أكون
محافظةً . لم أكن ملكاً ولكنى كنت أحب أن أستمتع
بنعمة الملك فى قصر لا يوس ، كما أحب أن أنعم فى قصر
بكل مزايا الملك دون أن أحمل ثقله أو أتكلف
همومه .

أوديب

انعم في سلام ! انعم في سلام يا كريون . لعل
من الخير أن يكون أمثالي أشخاصاً نادرين . ولكني
أرى الفتية يقبلون ، فلنستمع لهم دون أن يرونا .

يتنحى أوديب وكريون
وتدخل أنتيجون وپولينيس

پولينيس

لا سبيل إلى التفكير الحر إلا إذا أزلنا هذه الأثناء
التي تفرضها العبادة على العقل .

أنتيجون

إن الاستسلام للشهوات تفرض عليه أثناء أشد
نكراً وتعطفه إلى الشر . نعم ! لقد اتخذ عقلي هذا الثني

الذى يضطره إلى ألا يفكر إلا تفكيراً مستقيماً . ومن
المحقق أن كل اتجاه لشخصي إنما يدفعني إلى ...

بولينيس

أتمنى .

أنتيجون

... يدفعني إلى الإله !

بولينيس

لماذا لم تتمي حديثك أول الأمر ؟

أنتيجون

لأنني أعلم أنك لا تؤمن بالإله .

بولينيس

الإله إنما هو في حقيقة الأمر شيءٌ تضعينه عند آخر
تذكيرك . أتؤمنين به حقاً ؟

أنتيجون

بكل قلبي وبكل عقلي . ولولا أني أتحدث إليك لقلت
بكل نفسي ، ولكنك لا تؤمن بالنفس أيضاً .

بولينيس

لعلك تتهين إلى أن تحمليني على الإيمان بنفسك . . .
ولكن هذا الإله الذي تذكرينه أوجد خارج عقلك ؟

أدريه جيد

١١٠

أنتيجون

نعم ! مادام يجذبني إليه .

بولينيس

إنما هو انعكاس بسيط لما في نفسك من الفضائل

أنتيجون

بل أنا التي أعكس بعض ما فيه من خير ، فكل فضيلة

إنما تصدر عنه هو .

بولينيس

أى أنتيجون : اسمى لى . . . ولا يأخذك الخجل

من سؤالى .

أنتيجون

إني أخجل مقدما ، ولكن سل مع ذلك .

بولينيس

أمن المحرّم أن يتزوج المرء أخته ؟

أنتيجون

نعم لاشك في ذلك . إنه محرّم أمام الناس وأمام
الإله . لمَ تسألني هذا السؤال ؟

بولينيس

لأنني لو استطعت أن أتخذك لي زوجا لاسلمتك قيادي
حتى تبلغيني إلهك هذا .

أنتيجون

كيف تقترف الشر وترجو أن تصل به إلى الخير؟

بولينيس

الخير والشر... لا يردّد فك إلا هاتين الكلمتين

أنتيجون

لا تنفتح شفتاي عن كلمة إلا إذا كان مصدرها قلبي

كريون وأوديب قد استخفيا أثناء هذا المنظر
وسيطان مستخفين أثناء المناظر التالية

كريون [إلى أوديب]

كلا إنك لتعلم أني لا أستطيع أن أقبل الزواج

بين المحارم .

أوديب

ص ١

يتنحى بولينيس وانتيجون
ويدخل إتيوكل وإسمين

إسمين

ما أندر لقاءك منفردا ! إنك دائماً في صحبة أخيك .
كيف تستطيع أن توافقه دائماً ؟

إتيوكل

أليس طبيعياً أن يفهم الأخ أخاه أكثر مما يفهمه
الأجنبي ؟

إسمين

إن بين أنتيجون وبينى اختلافا عظيما في الذوق ، حتى
 إننا لنختصم في غير انقطاع ، فهي تلومني في كل ما أحب
 وتزعم لي أنه محظور ، حتى انتهى بي الأمر إلى أني لا أجرؤ
 أمامها على الضحك أو اللعب . وأنا أعلم أنها أكبر مني سنا ،
 ولكني أكاد أعتقد أنها لم تكن صبية قط .

إتيوكل

بولينيس وأنا توءمان قد وُلدنا معا ونشأنا معا ،
 فكل شيء بيننا مشترك ، فأنا لا أذوق لذة ولا أجبل
 خاطراً حتى يجد على الفور مثل ما أجد ، فيزيده ذلك
 قوة وأيدا .

إسمين

لست واثقة بأن مما يسرني أن أجد لي ضريباً ، بل
 لست واثقة بأنني لن أكرهه إن وجد ؛ فهناك أشياء
 لا تحسن فيها الشركة .

إتيوكل

لم نواجه إلى الآن شيئاً من هذه الأشياء .

إسمين

لو أن أحدكم أحب . . .

إتيوكل

لعلنا أن نحب قوءمين .

إسمين

فإذا اتصل الأمر بالملك ؟

إتيوكل

لقد اتفقنا على أن نتناوب العرش .

إسمين

فإن لم تجدا توأمين .

يضحك

إتيوكل

سأدعك لأشاوره في ذلك .

يخرج إتيوكل وتدخل أنتيجون

أنتيجون

كيف تضحكين والشعب في حداد؟

إسمين

إنك أنت لا تضحكين حتى حين يكون كل شيء من
حوالك سعيداً .

أنتيجون

واحسرتاه ! إن في كل مكان من هذه الأرض شقاء
لا يقاس إليه ما قد يوجد من فرح .

إسمين

إنما الفرح في أعماق نفسي ، وإني لأسمع في قلبي غناء .

إن البكاء على الأشقياء لا يعفيهم من الشقاء ، ولكنك
أنت لا تميلين إلا إلى الذين يألمون . ولعل ابتهاج الناس
من حولك أن يسوءك

أنتيجون

إن سعادة بعض الناس تقلقني يا إسمين .

إسمين

بعض الناس ؟

أنتيجون

سعادة أبي . وكلما ازداد حبي له اشتد خوفي من هذه
السعادة التي يزعمها لنفسه . إنه يهمل الإله . وليس
للإنسان معتمد غير الإله .

إسمين

ان فرحى شىء مجنح .

تمخر جان

كريون [إلى أوديب]

أترى إلى هؤلاء الفتية كيف يحسنون الحديث !
 « ان فرحى شىء مجنح » . . . جملة ينبغى أن تحفظ .
 أما أنتيجون فظاهر حديثها لا يدل على شىء ، ولكن
 تعلم أنه فى حقيقة الأمر شديد العمق ؟ هو بالضبط
 ما كنت أريد أن اشعرك به ، ولكنى لم أكن أعرف
 كيف أقول .

أوديب

ما ذا إذن ؟

كريون

هو آتى لا أرى سعادتك من المتانة بحيث تظن
ولكن لنستمع لابنيك .

يدخل إتيوكل ويولينيس

إتيوكل

وفي الحق ما الذى نلتمس فى الكتب ؟ إنما نلتمس
فيها الإذن بما نريد أن نعمل ، بل إن الذين يزعمون أنهم
يجبون النظام ويحترمون الأشياء المقررة ، هؤلاء الذين
يسمئهم تيرسياس أصحاب التفكير القويم ، إنما يلتمسون

في الكتب الإذن في أن يضايقوا ويظلموا ويخيفوا
جيرانهم . إنما يلتمسون أصولا ونظريات تريخ ضائرهم
وتضع الحق إلى جانبهم .

بولينيس

أما نحن أصحاب التفكير المعوج فإنما نلتمس في
الكتب الإذن بأن نأتي من الأمر ما تنكره التقاليد
ويأباه حسن الذوق وتحظره القوانين .

إتيوكل

وبعبارة أخرى الموافقة على مخالفة المؤلف .

بولينيس

نعم ، شيء يشبه هذا .

إتيوكل

فأنا الآن مثلا أبحث في الكتب عن جمل تبسح لي أن
أخذ إسمين لي خليفة .

كريون [في صوت خافت إلى أوديب]

وقح .

پولينيس

أختك ؟

إتيوكل

أختنا . . . ماذا تنكر من هذا ؟

بولينيس

إن وجدت هذه الجملة فأظهرني عليها .

كريون

وقحان .

اوديب [إلى كريون]

انصرف .

يخرج كريون

إتيوكل

إذا وجدت ماذا ؟

بولينيس

هذا الإذن . على أن هناك إذناً أقل شمولاً وهو
تستغنى عن الإذن .

إتيوكل

أما هذا الإذن فلم أنتظر أن أظفر به في الكتب

بولينيس

لا تتفع به ؟

إتيوكل

طبعاً ! وإذا كنت الآن ألتمس الإذن فإنما ألتمس
لها هي ...

بولينيس

لإسمين؟

إتيوكل

نعم ، لإسمين ، أما أنت فلست في حاجة إلى إذن .

بولينيس

وإذا منحتك لطمة على هذا الوجه الوقح أظنك
لاستطيع أن تزدري هذه اللطمة .

إتيوكل

حاول ، جرب ، أنت غيران ! ألم نشترك إلى الآن في
كل شيء ! واذن فقد أخطأت حين أفضيت إليك بهذا

الحديث . ومع ذلك أيها الأحمق فإني لم أقل هذا
لأغيبك .

بولينيس

أقسم لي على أن لاريبه بينك وبين إسمين .

إتيوكل

إلى الآن لاريبه . إني أكظم .

بولينيس

ما أراك تكظم كما أكظم .

إتيوكل

لو لم أحدثك لما فكرت في هذا .

بولينيس

أى إنى لم أكن أعلم أنى أفكر فيه ، فهناك أشياء
تفكر فيها دون أن تشعر .

إتيوكر

هذه مادة أحلامنا .

بولينيس

ألم تسأل نفسك قط إلى أى حد يمكن أن يذهب
الفكر ؟ يخيل إلى أنه أشبه شىء بالتنين الذى لانكاد
نعرف منه إلا جسمه وذنبه ، ما ينسحب منه فى الماضى :
وحش غريب غامض أحس أن رأسه المنكر القبيح يساير
ضميرى وشعورى وحسى ، يتحسس كل شىء ويشم

كل شيء ويرسل في كل مكان رغبة شديدة في
الاستطلاع المغري ، أما سائرهم فيتبعه كما يستطيع .

إتيوكل

هذا التنين هو الذي أسميه بلاء العصر ، أجد في
نفسى أسئلته التي لا تنقضى . إنه ياتهمني بأسئلته .

بولينيس

إني أفكر في التنين الذي قهره كدموس . يقال إننا
نشأنا من أسنانه .

إتيوكل

أتصدق ذلك يا بولينيس ؟ يقال أيضاً إن ابنة كدموس
الهالكة حملت في أحشائها الإله با كوس . في هذا العصر

الذى نعيش فيه والذى تقدمت فيه الحضارة ، ومنذ قتل
أبونا آخر ذرية أبي الهول لا تضرب الآلهة والكائنات
الغريبة فى الهواء ولا فى الريف ، وإنما تضرب فى أنفسنا .

بولينيس

كدموس^(٢) ، ليكوس^(٣) ، أمفيون^(٤) الذى أهدى
إلينا الكتابة نقيدها خواطرننا . . . إن الإِسانية لتظهرلى
متقدمة السن ، وإنى لأرى هذا كله بعيد العهد بنا !
وإنى لأفكر فى الوقت الذى لم يكن الإِسان فيه قد
اهتدى إلى الكلام .

إتيوكل

إن تيرسياس يعلمنا أن الكلام رهبة من الآلهة
للناس .

بولينيس

إن إيماني بالآلهة لاقل من إيماني بالأبطال .

يتقدم أوديب نحو ابنه

أوديب

لقد أحسنتما القول ! إني لأعرف فيكما ابني . إني
 لأسمعكما (لقد كنت أسمع عليكما) فأسف لأنني لم
 أتحدث إليكما كثيراً . ولكنني أحب أن أقول لكما قبل
 كل شيء . . . يا ابني احترما أختيكما . إن ما يمسننا من
 قريب ليس بالغنيمة النافعة . إن من أراد أن يعظم خليق
 أن ينظر إلى بعيد . ثم لا تكثرا النظر إلى وراء . قدراً
 أن الإنسانية ما زالت بعيدة جداً عن غايتها أبعد مما نظن

وبينها وبين هذه الغاية آماذ اطول مما بينها وبين عهدها
الأول الذي لا نكاد نلحظه .

إتيوكل

الغاية . . . ما عسى أن تكون الغاية ؟

أوديب

هي أمامنا مهما تكن . يخيّل إلىّ أنى أرى الأرض
بعد وقت طويل جداً وقد سكنها أناس أحرار ينظرون إلى
حضارتنا كما ننظر نحن إلى الحضارة القديمة في أول عهدنا
برقيها البطيء . وإذا كنت قد قهرت أبا الهول فما ينبغي
أن تستريحا . هذا التنين الذي كنت تتحدث عنه يا إتيوكل
يشبه ذلك الوحش الذي كان ينتظرني على أبواب ثيبا حيث
كان يجب أن أدخل ظافراً . إن تيرسياس ليثقل علينا

بتصوفه وأخلاقه . لقد تعلمت هذا كله عند پوليب . إن تيرسياس لم يخترع شيئاً ، وهو لا يستطيع أن يسيغ الدين يبحثون ويخترعون . إنه على ما يزعم لنفسه من الاتصال بالآلهة ومن علم الغيب من طريق الوحي أو من زجر الطير ، لم يكن هو الذي استطاع أن يحل اللغز ! لقد فهمت ، فهمت وحدي أن كلمة السرّ التي ينجو بها الإنسان من أبي الهول هي : الإنسان . لم يكن بد من بعض الشجاعة ليُنْطَقَ بهذا اللفظ ، ولكني كنت قد أعددتَه قبل أن أسمع اللغز . وقوتي إنما جاءت من أني لم أكن أقبل جواباً غير هذا مهما يكن السؤال الذي يلقي .

فقد ينبغي أن تفهما يا ابنيّ أن كل واحد منا يلقي أول الشباب وحشاً قائماً يريد أن يأخذ عليه الطريق . وهذا الوحش يا ابنيّ يعرض على كل واحد منا سؤالاً خاصاً ، فاعلمنا أن هذه الأسئلة مهما تختلف فإن جوابها

واحد لا يتغير . نعم ! ليس هناك إلا جواب واحد لهذه
 الأسئلة كلها ، وهذا الجواب هو الإنسان ، وهذا
 الإنسان الفرد بالقياس إلى كل واحد منا هو
 شخصيته .

هنا يدخل تيرسياس

تيرسياس

أى أوديب : هذه هي الكلمة الأخيرة لحكمتك ؟
 إلى هذا ينتهى علمك ؟

أوديب

بل من هنا يبدأ علمي ، وليست هذه الكلمة إلا
 الكلمة الأولى .

تيرسياس

والكلمات التالية ما هي ؟

أوديب

سيبحث عنها ابنائى .

تيرسياس

لن يجداها ، كما أنك لم تجدها .

أوديب [لنفسه]

إنه لأشد محمّالا من أبى الهول .

إلى ابنه

دعانا .

يُخرج إتيوكل وپولينيس

تيرسياس

نعم ! إنك تطلب إلى ابنيك أن ينصرفا حين لا تمجد
 ما تقول لهما ، وحين يضطر عامك إلى العجز . لا تستطيع
 أن تعلمهما إلا الكبرياء . كل علم يأتي من الإنسان لا من
 الإله ، فهو باطل .

أوديب

لقد اعتقدت وقتاً طويلاً أن إلهما كان يهديني الطريق .

تيرسياس

إلهما لم يكن شيئاً آخر غيرك ، أنت الذي ألّه نفسه .

أوديب

إلهاً أفهمتنى أنت أنى أستطيع أن أستغنى عنه .

تيرسياس

عن هذا الإله الدعى تستطيع أن تستغنى من غير شك
لا عن الإله الحق ، هذا الذى تابى أن تعرفه ، ولكنه
يراقب خطاك ويتتبع أشد خواطرك خفاء ، الإله الذى
يعرفك خيراً مما تعرف أنت نفسك .

أوديب

من أين لك أنى لا أعرف نفسى ؟

تيرسياس

من أنك ترى نفسك سعيداً .

أوديب

ولم لا أرى نفسي سعيداً حين أكونه ؟

تيرسياس

إن المريض الذي يرى نفسه صحيحاً ليس شديد الشهوة
إلى الشفاء .

أوديب

أتريد أن تقتنعني بأنني مريض ؟

تيرسياس

مرضاً شديداً ، لأنه يزيد خطره أنك لا تعلم . أى
أوديبي : إنك تزعم الإفلات من الإله وتجهل نفسك ،
وأريد أن أعلمك كيف ترى نفسك .

أوديبي

يُخَيَّلُ إِلَى مَنْ سَمِعَكَ أَنْ الْأَعْمَى مَنَا هُوَ أَنَا .

تيرسياس

أى أوديبي : إن كانت عينا وجهي مقفلتين ، فإنما
ذلك لترداد عينا نفسي إبصارا .

أوديب

وبعيني نفسك هاتين ما ذا ترى ؟

تيرسياس

أرى بؤسك . ولكن أجبني منذ كم من الوقت
تركك عبادة الإله ؟

أوديب

منذ تركت السعى إلى معابده .

تيرسياس

طبعاً إذا لم تؤد فرائض العبادة خبت في نفوسنا

جدوة الإيمان . ولكن لماذا لم تقرب المعابد حين كانت
في نفسك بقية من إيمان ؟

أوديب

لأن يديّ لم تكونا نقيتين .

تيرسياس

أى جريمة دنستهما ؟

أوديب

دنستهما جريمة قتل اقترفتها على طريق الإله الذى
كنت أريد أن أستشيرهُ ، وأبى الهول الذى قهرته .

تيرسياس

من ذا الذى قتلت ؟

أوديب

رجل مجهول كان يعترض طريقى بعربته .

تيرسياس

الطريق التى كانت تقودك إلى الإله . فإن الطريق التى
 تقيت فيها أبا الهول طريق أخرى ، ولكنك كنت تعلم
 أن الإله لا يرجع جوابا على من دنس يديه .

أوديب

هذا حق ، ومن أجل ذلك عدلت عن استشارة
الاله وأخذت الطريق التي قهرت فيها أبا الهول.

تيرسياس

ماذا كنت تريد أن تطلب إلى الإله ؟

أوديب

أن ينبئني ابن من أنا ؟ ثم أزمعت بقاءة أن أجهل هذا
النسب .

تيرسياس

بعد اقرار الجريمة !

أوديب

تعلمت نجاة كيف أتخذ من هذا الجهل قوة .

تيرسياس

قد كنت أظن أنك طُلعة شديد الرغبة دائماً في أن
تعلم كل شيء . . . ولكن قبل هذا التهاون المتعمد . . .
فسر لي يا أوديب . . . لماذا كنت شديد الحرص على أن
تعلم من الإله ما كنت تريد أن تسأل عنه ؟

أوديب

لأن وحيًا تنبأ بأنني يجب . . . أي تيرسياس : إنك
تقتل عليّ ، ولن أجيبك بعد الآن .

تيرسياس

لقد تنبأ الوحي كذلك للايوس بأنه سيموت مقتولاً
 بيد ابنه . أى أوديب . أى أوديب أيها اللقيط ! أيها
 الملك الآثم ! إن جهلك لماضيك هو الذى يمنحك هذا
 الثقة . إن سعادتك عمياء . افتح عينيك على شقائك . لقد
 استرد الإله منك حقك فى أن تكون سعيداً .

يخرج تيرسياس

أوديب

اغرب . اغرب ! كأن السعادة كانت هى الشئ الذى
 كنت أبتغيه ، إنما هربت منها حين تركت پوليب قوى
 الساقين مطلق اليدين . من ذا الذى يستطيع أن يصب
 جمال الفجر وهو يلتقى أشعته على البرناس (٥) حين كنت

أسعى في الندى نحو الإله ألتس جوابه ، كنت لا أملك شيئاً إلا قوتي ، ولكنى كنت غنياً بما كان في شخصيتى من استعداد ، وكنت أجهل نفسى . نعم لقد كان مصيرى معلقاً بجواب الإله ، وكنت أذعن فرحاً لهذا المصير . . . ولكن هتا شيئاً لا أصل إلى فهمه . ومن الحق أنى لم أفكر فيه كثيراً إلى الآن . يجب أن يقف الإنسان ليفكر ، وكنت فى ذلك الوقت مدفوعاً إلى العمل . . . من الحق أنى تحولت عن طريق الإله لأن يدي لم تكونا تقيتين ؟ لم أكن أحفل بذلك حينئذ . ويخيل إلى الآن أن جريمتى هى التى وجهتنى نحو أبى الهول . ماذا كنت أريد أن أطلب من الإله ؟ كنت أطلب جواباً . وقد كنت أشعر بأنى كنت أنا نفسى جواباً لسؤال لم أكن أتبينه ، ثم عرفت أنه سؤال أبى الهول . لقد قهرته أنا الملكى . ولكن منذ ذلك الوقت ألم تزدد الأشياء كلها

غموضاً من يوم إلى يوم بالقياس إلى ؟ منذ ذلك الوقت
منذ ذلك الوقت . . . ماذا صنعت يا أوديب ؟ لقد نعمت
بالمكافأة ونمت عشرين سنة ، ولكني الآن أخيراً أحس
الوحش يتمطى في دخيلة نفسي . إن مصيراً عظيماً ينتظرني
مستخفياً في ثنايا التاريخ . أي أوديب لقد مضى وقت
الطمأنينة . أفق من سعادتك .

الفصل الثالث

« إني أضرع إليكم في ألا
تظنوا بي ازدراء القوانين »

[سوفوكل : أوديب في كولونا]

أوديب [وقد أخذ بالمعطف الملكي لچوكاست]

كلا ! أريد أن أعلم . لا تنسلي كما ينسلّ الظل .
فلن أعفيك حتى أعلم . لن أخليك حتى أعلم كل ما عندك
من الحقائق . إن هنا شيئاً غامضاً ملتبساً أريد أن أوضحه
مهما يكن من شيء . وأجيبيني أولاً : أكنت تعلمين بموت
لايوس حين دخلت ثيبيا بعد أن أتيحت لي قهر أبي الهول ؟

چو کاست

كيف أعد بالعرش قاهر أبي الهول دون أعلم أني آيم!

أوديب

فلم يكن يكفي للاستئثار بملك ثيبا أن يقهر أبو الهول،
بل لم يكن بد من قتل الملك .

چو کاست

بماذا تريد أن تتهم نفسك .

أوديب

كلا ! كلا . إنك تتعجلين ، إنما أردت أن أقول لم
يكن بد من أن يموت الملك .

چوكاست

اسمع لي : لست أذكر جيداً حقيقة ما كان ولا كم
مضى من الوقت بين موت الملك ووصولك إلى ثيبا ، إنما
بعرف ذلك حق المعرفة كريون ، وهو يستطيع أن ينبئك
بجلبته .

أوديب

ما الذي يعنيني من أمر كريون ؟ أتعلمين ماذا قال
لي ؟ لقد قال لي إن من الحق على أن أكفي قاتل
لايوس لا أن أعاقبه ، فلولا جريمته لما ارتقيت إلى
العرش . ولكن موت الملك أكنت تعلمينه ؟ قولي
يا چوكاست .

چوكاست

كيف تريد أن أذكر ذلك يا صديقي ؟ بماذا تريد أن
تعذب نفسك ؟ لست أعلم إلا شيئاً واحداً وهو أنني لم
أكد أراك حتى أردتك .

أوديب

لم يكن بد من أن يخلو العرش والسريير من صاحبهما
قبل أن يشغلهما شخص آخر . وقتل الملك وحده هو
الذي أتاح لي الظفر بهما . ولكن أنت ألم تكوني
تعامين أنك حرة ؟

چوكاست

يا صديقي يا صديقي لا تنبه إلى شيء من هذا ؛ فإن أحداً
من المؤرخين لم يلتفت إليه .

أوديبي

إذن فأنا أفهم كل شيء . لقد كنت تعرفين قاتل الملك .

چوكاست

. ٤٥

اوديبي

القاتل هو أنا .

چوكاست

اخفض صوتك .

أوديبي

لم أكن قد أزلت عن يدي دم القتييل حين كنت أسعى
إلى أبي الهول لأقهره .

چوكاست

قف .

أوديبي

لقد كان يريد أن يمنعني من التقدم . كانت عربته
تعترض طريقي ، فلما خاصمته في ذلك لينفسح لي الطريق
قتلته . هذا المجهول الذي لم يكن يحمل شارة الملك
لم يكن إلا . . .

چوكاست

لماذا تريد أن تعلم ؟

أوديبي

أنا شديد الحاجة إلى ذلك .

چوكاست

ألا تشفق على سعادتك ؟

أوديپ

لا أشفق على شيء . لا أريد سعادة تقوم على الجهل
والخطأ . هذه السعادة تليق بالشعب ، أما أنا فلست في
حاجة إلى أن أكون سعيداً . لقد قضى الأمر وتمزق
سحاب تلك الأحلام الساحرة . تستطيع أن تأتي
ياتيرسياس .

يدخل تيرسياس يقوده كريون

تيرسياس

أنت في حاجة إلى ؟

أوديب

لم يأت وقت الحاجة إليك بعدُ . أريد قبل ذلك أن
 أهبط إلى قاعة الهوة . قل لي ، هذا الملك الذي قتلته ...
 كلا ! لا تقل شيئاً . لقد فهمت كل شيء . لقد
 كنت ابنه .

كريون

آه ! يا للعجب ! ماذا أسمع ... ؟ أتكون أختي أمه !
 أوديب هذا الذي كنت أحبه أيمكن أن يتخيل الإنسان
 أبشع من هذا ؟ ألا أعلم أيكون صهرى أم ابن أختي ؟

أوديب

ألا يعينك إلا هذا ؟ لا تشغاني بصلات النسب هذه ،
 فلو أن ابني كانا لي أخوين لآزداد حبي لهما قوة .

كريون

ائذن لي في أن أرى هذا الخلط بين ألوان الشعور
مؤلماً. ومع ذلك فمن حق عليك ان تحرمني ، ألسنت خالك ؟

أوديب

يا لها من مكافأة بغیضة على حل اللغز ! ماذا ؟ أهذا هو
اللغز الآخر الذي كان يستخفي وراء أبي الهول . وأنا
الذي كان يهني نفسه بجهل أبويه . بفضل هذا الجهل
تزوجت أمي . واحسرتاه ! واحسرتاه ! وتزوجت معها
ماضي كاه : الآن أفهم لماذا نامت مروءتي . لقد كان
المستقبل يدعوني عبثاً لأن چوكاست كانت تردني إلى
وراء . أي چوكاست : لقد كنت تزعمين في جنون إلغاء
مالم يكن بد من وقوعه ، أنت التي كنت أحبها حب الزوج

وكنت أحبها دون أن أعلم حب الابن . . . لقد آن الوقت
 دعيني ! إنى لأقطع ما بينى وبينك من صلة . أما أتم يا بنى
 يارفاق غفلتى ، أيتها الحقائق الواقعة لما ثار فى نفسى من
 رغبات : سأدخل من دونكم فى المساء لأتم ما كتب لى
 من مصير .

تيرسياس

أى أوديب يا ابن الخطأ والخطيئة لتولد من جديد .
 قد كنت فى حاجة إلى الألم ليتجدد شخصك . خذ بحظك
 من الندم ، أقبل على الإله الذى ينتظرك . سيوضع عنك
 وزرك .

أوديب

بأمر الإله الذى رسم لى طريقى قبل أن أولد نصب
 الشرك لأوخذ فيه . فليس بد من إحدى اثنتين : فإما أن

يكون الوحي قد كذب ، وإما أن يكون اهلاك قد قضى
 على . لقد كنت مجبرا .

تيرسياس

كنت مجبرا بحكم الإله الذى يستطيع وحده أن يصلح
 بينك وبين نفسك وأن يكفر عنك خطيئتك . ستفكر فى
 هذا . ولكن أليس من الخير أن ينبه الشعب . لقد
 وعدته أنت بعقاب المجرم كما أراد الإله ليرفع عنه الشر .

أوديب

أنبيء من شئت . لا أريد أن مجهل أحد شيئا . ادع
 أنبئى أيضا . ولكن أنبئهم أنت . أنبيء الناس جميعا بما
 لأحسن أنا إنباءهم به . أنبئهم بهذه الجريمة التى لا أعرف
 كيف اسمها .

يخرج تيرسياس

چوكاست

لماذا تذيب ما يمكن أن يظل بيننا مكتوماً؟ كان من
 الممكن ألا يتوهم أحد شيئاً. وما زال هذا ممكناً إلى الآن.
 لقد نسيت الجريمة. إنها لم تمنع، بل إنها أتاحت سعادتك.
 لم يتغير شيء.

أوديبي

كيف تقولين لم يتغير شيء. لقد تغير كل شيء،
 ولم يبق شيء واحد كما كنت أفهمه من قبل. فقد كنت
 أولاً ابن ملك دون أن أعلم. ولم أكن في حاجة إلى القتل
 لأملك. كان يكفي أن أنتظر.

چوكاست

أراد الآلهة شيئاً غير هذا.

أوديب

وإذن فما عملته لم أكن أستطيع أن أتركه . نعم لقد كنت أعتقد أن إلهاً يهدينى وكنت أستمذ من هذا الاعتقاد الثقة بسعادتى ، ثم أهملت هذا الاعتقاد نفسه وجعلت أعتمد على نفسى . أما الآن فلست أعرف نفسى فى أعمالى . هناك عمل مع ذلك صدر عنى وأود لو أجدده . . . لأن مظهره قد تغير . أو لأن نظرى إليه قد تغير على الأقل حتى أصبح كل شىء يبدو لى مختلفاً .

چوكاست

لقد أضلك إله فى ذلك الوقت .

أوديب

إله ، تقولين ؟ لقد كنت أرى نفسى قويا بحيث
أستطيع أن أستغنى حتى عن الإله . لقد أردت أن أتحول
عنه حين اتجهت إلى أبي الهول . لماذا ؟ هذا هو الذى
أفهمه الآن . لقد كنت راضياً بالخضوع للإله حين كان
يقودنى إلى المجد ، لا حين يقودنى إلى الجريمة ، إلى
الجريمة التى أخفى على بشاعتها . . . يا لها خيانة من الآلهة
ملؤها الجبن ! إنها خيانة لا تطاق . . . ألا أزال إلى الآن
خاضعاً لها ؟ هل تنبأ الوحي بما يجب أن أصنع ؟ أيجب أن
أستشيرهُ أيضاً ؟ بماذا عسى أن تنبئك الطير يا تيرسياس ؟
وددت لو أفلتت من الآلهة التى تحيطنى ! وددت لو أفلتت
من نفسى . إن فى نفسى شيئاً يعدّبنى . إنه يشبه البطولة .
إنه يتجاوز طاقة الإنسان . وددت لو اخترع ألماً جديداً

لا أدري ما هو . وددت لو أخترع حركة جنونية تدهشم
 جميعا . تدهشني أنا وتدهش الآلهة . هاتان العينان
 اللتان لم تحسنا تنبيهى لست . . .

يخرج أوديب

چوكاست

اتبعه يا كريون . لا تدعْه لحظة .

يخرج كريون

چوكاست [وحدها]

أيها التعس أوديب : ما حاجتك إلى المعرفة ؟ لقد عمات
 ما استطعت لأمنحك من تمزيق القناع الذي كان يحمى
 سعادتنا . لقد طردتني وهأنذا الآن عارية بشعة .
 كيف أستطيع أن أظهر أمام عينيك ، أمام أعين أبنائنا ،
 أمام أعين الشعب الذي أحس مقدمه ؟ وددت لو

رجعت أدراجي ونقضت كل ما عقد ، ونسيت سريرنا
 المخزي ، ولم أصبح أمام الموتى الذين ينتظرونني إلا زوج
 لا يوس وحده . . .

تدخل الجوقتان وتخرج چوكاست

الجوقتان [تتحاوران]

أين تذهب الملكة ؟ — تستخفي بالطبع — أين ذهب
 أوديب ؟ يستخفي أيضاً . إنه خجل . — أن يتزوج الرجل
 أمه ويولدها الولد . . . كل هذا من شؤون الأسرة وهو
 لا يعنيننا ، إنما يعني الآلهة الذين يسخطون عليه
 — وهناك قتل لا يوس وقد اقترفه ابنه أوديب — وقد
 وعد أوديب أن يثأر له . يمكن أن يقال إنه اضطر نفسه
 إلى حرج شديد . يجب أن يثأر الثائر من نفسه ، وأن

يتخذ نفسه على أنه مقترف الجريمة — لم يكن بد لإرضاء الآلهة من سقوط ملك ، فقد كان شقاؤنا عظيما — أليس من الطبيعي أن يضحى الملك بنفسه في سبيل شعبه ؟ بلى ! إذا كان من شأن هذه التضحية أن تنقذنا من الشقاء .

الجوقتان معا

أى أوديب الذى كان يرى نفسه سعيدا ويقترف في سريره أشد الآثام خزيا : لبتنا لم نعرفك . لقد أنقذتنا من أبى الهول ، هذا حق ، ولكن ازدرائك للآلهة يجر علينا آلاما لا تحصى ولا يكافئها ما قدمت إلينا من خير . كل نعيم يُنال على رغم الآلهة ، فهو نعيم مغضوب يجب أن يُؤدى عنه الحساب إلى الآلهة عاجلا أو آجلا . لنعلن هذه الآراء جهره ، فإننا نرى تيرسياس مقبلا .

يدخل تيرسياس ومعه أبناء أوديب

تيرسياس

يا بنيّ: إنكم لتعلمون أين تجدون الملجأ إذا فقدتم
 حماية أييكم . هاكم ما سيدفعكم إلى الحياة دفعا . وقد التزم
 أوديب بقسمه أن يثأر من قاتل لايوس .

إتيوكل

ما أرى أنه يستطيع أن يرى لنفسه الحق في عرش ثيبيا .

بولينيس

ما أرى أنه يستطيع البقاء في المدينة .

أنتيجون

لا تنطقا بهذه الألفاظ القاسية التي لسمعها الأمة
 ويردونها عليكم .

إتيوكل

سننبع سيرة أبينا .

يولينيس

لن نحتاج نحن إلى أن نقتله لنرث عنه العرش

أنتيجون

إن أبي لم يقترف جريمة عن عمد..

إتيوكل

لن تكون لنا خطايا نحتاج إلى أن نكفر عنها .

يسمع صياح

الجوقة

ما هذا الصباح ؟

إسمين

إني خائفة..

أنتيجون

تعالى إلى جانبي -

يخرج كريون من القصر

كريون

إن بشاعة العقاب لاشنع من بشاعة الجريمة . لقد قضت
 أمكم چوكاست . لقد انتهت حياتها حينما كنت ألاحظ
 أوديب « هذا ما لم يكن لعيني أن ترياه » . كذلك قال أوديب
 حين عرفنا النبأ . أما أنا فقد رأيت . رأيت أختي البائسة

معلقة . وبينما كنت أجدّ في إسعافها اندفع أوديب إلى
 المعطف الملكي فانتزع منه مشابكه الذهبية ، ثم دفع بها
 في عينيه دفعا عنيفا ، وإذا الدم والصدید يتفجران منهما
 حتى يصيبني رشاشهما ، وإذا هما يسيلان على وجهه .
 وهذا الصياح الذي كنتم تسمعونهُ إنما هو صياحه ،
 صياح الروع أولا ، ثم صياح الألم بعد ذلك .

تيرسياس

لم نعد نسمع هذا الصياح .

كريون

لعله أغشى عليه .

الجوقة

لا ، بل ها هو ذا . إنه لمتردد الخطأ .

أنتيجون [تترك إسبين وتسرع للقاء أوديب]

أبت . . .

أوديب

هذه أنتيجون التي أمسّ الآن شعرها ؟ ابنتي وأختي

في وقت واحد . . .

أنتيجون

لا تذكر هذا الخزي إلى آخر الدهر . لا أريد أن

أعرف إلا أني ابنتك .

أوديب

أنت التي لم تكذبني قط . أنبئي هذا الذي لم يعد يري :

أين يكون تيرسياس .

أنتيجون

هنا . أمامك يا أبت .

أوديب

قريباً مني بحيث يسمع صوتي ؟

تيرسياس

نعم إنى أسمعك يا أوديب . أتريد أن تتحدث إليّ ؟

أوديب

أهذا هو الذى كنت تريده يا تيرسياس ؟ كنت
 تحسدنى على ضوئى ، فأردت أن تجرني إلى ظلمتك ؟ إنى
 مثلك أشاهد الآن الظلمة الإلهية . لقد عاقبت عينيّ اللتين

لم تضيئاً الى الطريق . لن تستطيع منذ الآن أن تستطيل
على بما يمنحك العمى من تفوق .

تيرسياس

إذن فهي الكبرياء التي دفعتك إلى أن تفقأ عينيك .
لم يكن إلا له ينتظر منك هذا الأثم الجديد ثمنا لجريمتك
الأولى ، إنما كان ينتظر منك الندم ليس غير .

أوديب

الآن وقد تاب إلى الهدوء وسكت عنى الألم وفارقتي
السخط على نفسي ، أستطيع أن أجادلك يا تيرسياس . إنى
لمعجب بما تعرض على من ندم . أنت الذى يزعم أن الآلهة
يقودوننا وأنى لم أكن أستطيع أن أفلت مما قدروا على .

لعل هذه التضحية التي فرضتها على نفسي كانت مقدره على
 هي أيضاً بحيث لم أكن أستطيع أن أتجنبها . لا بأس !
 لقد ضحيت بنفسى عن إرادة ورضا ، لقد بلغت من
 الرفعة منزلة لم أكن أستطيع أن أعدوها إلا إذا وثبت
 محاربا لنفسى .

كريون

إني لسعيد أيها العزيز أوديب بأن أملك محتمل على
 الأقل . فقد بقى على أن أنبئك بشيء مؤلم . لن تستطيع البقاء
 في ثيبا بعد كل الذي كان وبعد أن علم الشعب بجريمتك .

الجوقة

إننا نطلب أن ينفذ أمر الآلهة ، وأن تعفينا من
 محضرك ومن آلامنا .

كريون

إن إتيوكل وپولينيس كيطمعان في العرش منذ الآن .
 وإذ كانا ما يزالان حديثين لا يستطيعان النهوض بأعباء
 الملك ، فسأستأنف الوصاية على العرش مرة أخرى .

تيرسياس

ما أرى أن شيئاً يدهشك حين ترى ابنك ينتفعان
 بما قدمت إليهما من قدوة .

أوديب

سأترك لهما راضياً هذه المملكة التي لم يفتحها ولم
 يستحقها ، ولكنهما لم ينتفعا من القدوة التي قدمت
 لهما إلا باليسير الذي يتملق شهواتهما . لقد أخذنا بالسهل
 وتجنبنا الصعب العسير .

أنتيجون

أى أبت : إني لأعلم أنك حين تختار لا تؤثر من الأمر
إلا أنبله ، ومن أجل ذلك أزمعت ألا أفارقك .

تيرسياس

لقد وعدت بأن تمنحني نفسك للإله ، فلن تستطيعي
أن تتصرفي في أمرك كما تحبين .

أنتيجون

كلا ! لن أخلف موعدى . إني حين أفلت منك
يا تيرسياس سأظل وفية للإله . بل يخيل إليّ أني أخلص
في خدمته حين أتبع والدى أكثر مما أخلص فيها إن
بقيت معك . لقد سمعتك تعلمني حقائق الإله إلى اليوم ،
ولم يكن حظي من التقوى سيعظم ويزداد حين أصغى

لعقلي وقلبي . أى أبت : ضع يدك على كتفى ، فلن يدركنى
ضعف ولا وهن . تستطيع أن تعتمد على . سأزيل الشوك
من طريقك . قل إلى أين تريد أن تذهب ؟

أوديب

لا أدرى . سأذهب أمامى . . . لا ألوى على شىء .
لا وطن لى ولا أسرة . . .

إسمين

إنى كيجزنى أن أرا كما تذهبان على هذا النحو .
سألبس ثياب الحداد ، وسأدر ككما ممتطية جوادا .

تيرسياس

قبل أن ينطلق أوديب اسمعوا جميعاً لما أوحى إلّ

الآلهة . إنهم يبعدون أن يمنحوا أعظم بركاتهم للأرض
التي تستقر فيها جثته .

كريون

حسن . . . ! أترى أنك تحسن إن أقمت بيننا؟ نستطيع
أن نتفق .

أوديب

لقد سبقت الكلمة يا كريون . إن نفسي قد فارقت
ثيبا منذ الآن ، وقد تقطع كل ما بيني وبين الماضي من
صلات . لست ملكا ، لست شيئا ، إنما أنا ابن سبيل
لا اسم له ، قد نزل عن ثرائه وعن مجده . بل عن نفسه
أيضا .

الجوقة

أقم معنا يا أوديب . سنُعنى بك . ستري . تذكر أنك
 أسديت إلينا فيما مضى من الدهر عوارف كثيرة . لأن
 كانت جريمتك قد أحفظت علينا الآلهة ، لقد انتقمت لها
 من نفسك انتقاماً عظيماً . فكر في الأجزاء عليك من
 أبناء ثيبا . فكر في شعبك . ما الذى يعنيك من أمر الذين
 لا يعرفونك ؟

أوديب

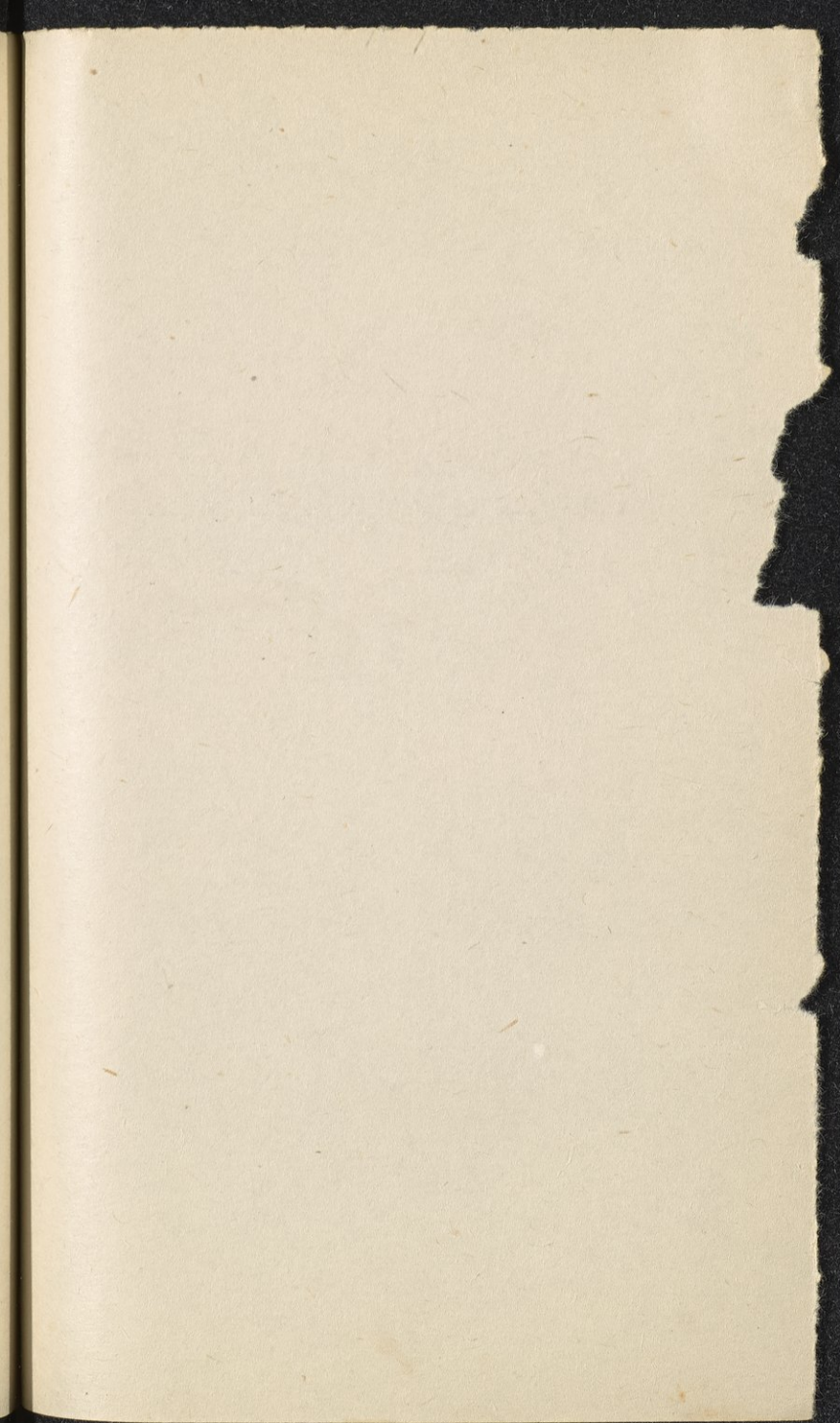
مهما يكونوا فإنهم من الناس . وإنه ليولد لى أن أحمل
 إليهم السعادة ثمناً لما ألقى من ألم .

تيرسياس

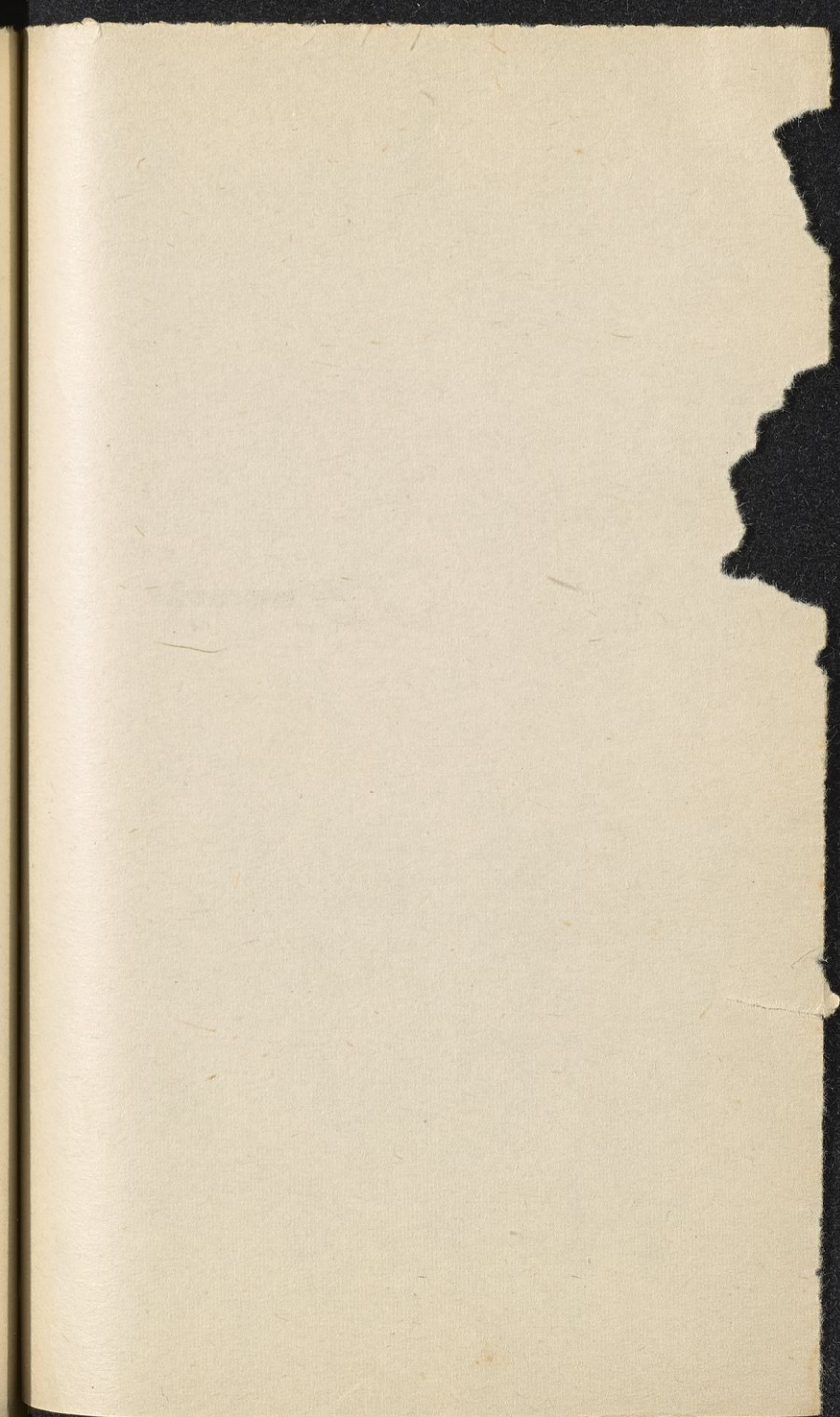
ما ينبغى أن تريد لهم السعادة ، وإنما ينبغى أن تريد
 لهم النجاة .

أوديب

سأدعك تفسر هذا للشعب . وداعاً ! تعالى يا ابنتي .
 أنت الوحيدة بين أبنائي أريد أن أعرف نفسي فيك ،
 وأريد أن أكل نفسي إليك ، أى أنتيجون النقية : لن
 أسلم قيادى إلا إليك .



تیسویں



أهدى هذا السفر الأخير إلى

آن هورجون

في غير تكلف

فبفضل ضيافتها الحارة ورعايتها المتصلة وعنايتها الدائمة

أستطعت أن أتمه

وأسجل هنا إعترافي بالجميل

لچاك هورجون

ولكل الذين أتاحوا لي أثناء هذا النفي الطويل

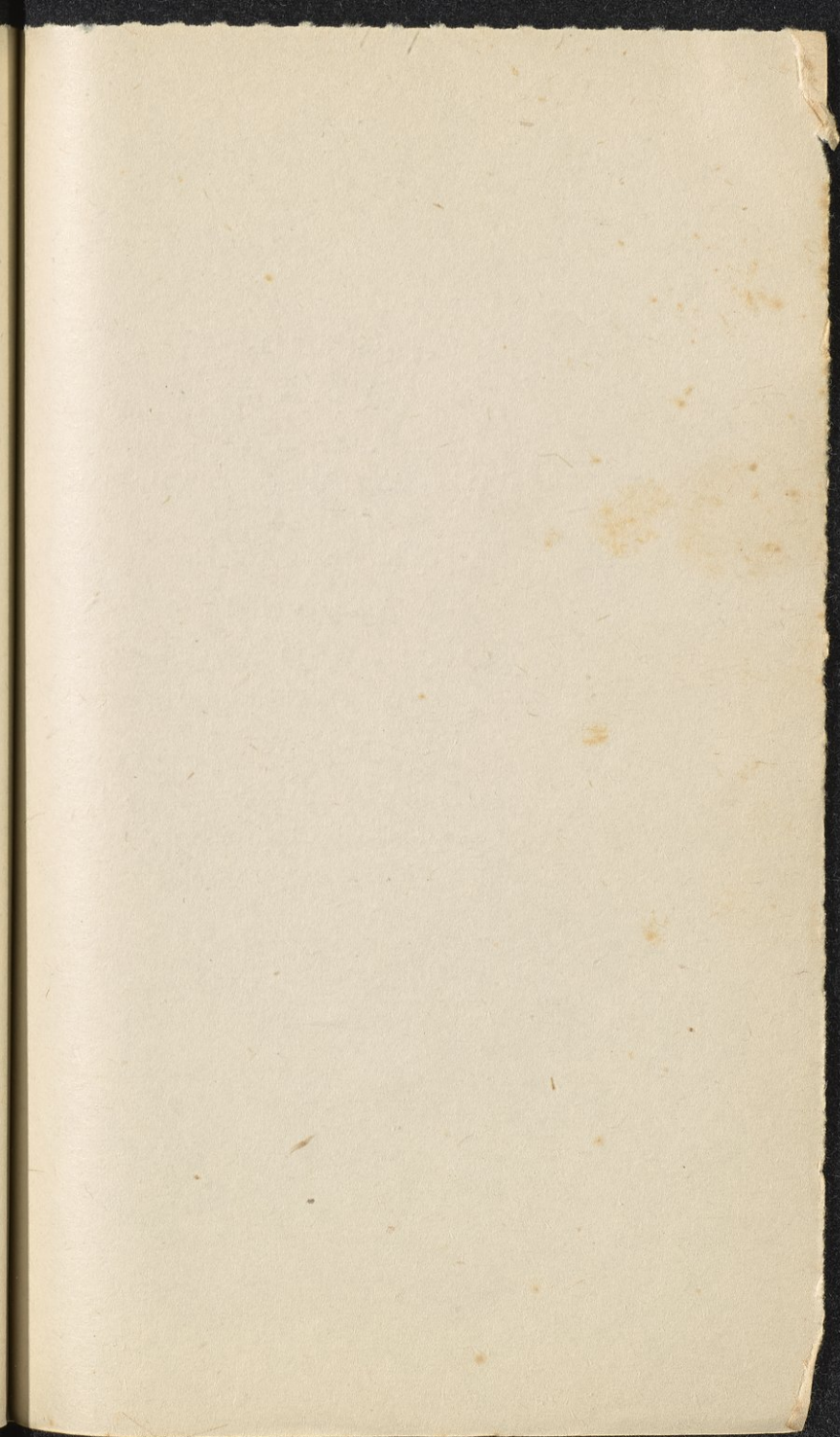
أن أعرف قيمة الصداقة وبنوع خاص

لچان أمروش

الذي أحسن تشجيعي على هذا الجهد . ولعلي

لم أكن بدونه أجد الميل إلى البدء فيه مع أني

أفكر في كتابته منذ وقت طويل .



١

لقد كنت أتمنى أن أقصّ حياتي على ابني هيپوليت^(٦)
لأعظه وأعلمه، ولكن قد قضى. وسأقصّ حياتي مع ذلك.
وقد كان مما لا سبيل إليه، لو عاش هيپوليت، أن أروى
بعض حوادث الغرام التي عرضت لي. فقد كان يظهور غلواً
شديداً في الحياء، ولم أكن أجروء على أن أتحدث أمامه
عما لقيت من الحب. على أن الحب لم يكن ذا خطر إلا في
الشرط الأول من حياتي. ولكنه علمني على الأقل أن
أعرف نفسي بالقياس إلى الوحوش المختلفة التي قهرتها.

فقد كنت أقول لهيپوليت : « يجب قبل كل شيء أن يعرف الإنسان من هو ، ثم يحسن بعد ذلك أن نستحضر في شعورنا ونأخذ بأيدينا ما ترك لنا من ميراث . وسواء أردت ذلك أم لم ترده ، فأنت الآن ، كما كنت أنا من قبلك ، ابن ملك . لا سبيل إلى اتقاء ذلك . إنه واقع . إنه ملزم . » ولكن هيپوليت لم يكن يلتقي إلى ذلك سمعاً . كانت عنايته به أقل من عنايتي حين كنت في سنه ، وكان مثلي لا يحفل بأن يعرف من ذلك شيئاً . يا للأعوام الأولى التي نحيها في البراءة والنقاء ! نشأة غير مكترثة ! لقد كنت الريح وكنت الموج . وكنت نباتا وكنت طائرا . لم أكن أقف عند نفسي ، وكان كل اتصال بيني وبين العالم الخارجي لا يعلمني حدود طاقتي بمقدار ما يوقظ في من ميل إلى اللذات . لقد مسحت بيدي الثمر وقشر الشجر الرخص ، والحصى الأملس على ساحل البحر ، وشعر الكلاب والخيل

قبل أن ألمس النساء . لقد كنت أثب إلى كل ما كان يقدم
إليّ بأن (٧) ، أو ذوس (٨) ، أو تيتيس (٩) ، من جمال .
و ذات يوم قال لي أبي إن الأمور لا تستطيع أن
تفنى على هذا النحو . « لماذا ؟ » لأنني بالطبع كنت
ابنه وكان يجب أن أظهر نفسي كنفثا للعرش الذي سارته
عنه ... على حين كنت أرى نفسي سعيداً بالجلوس عارياً على
العشب الرخص أو على الرملة الملتهبة . ومع ذلك لا أستطيع
أن أخطيء أبي ، فقد كان يحسن بإثارة عقلي خصماً لي . وأنا
مدين لذلك بكل ما أتيج لي من قيمة فيما بعد ، بانقطاعي
عن هذه الحياة المهملة مهما يكن هذا الإهمال لذيذاً رائعاً .
لقد علمتني أن الإنسان لن يظفر بشيء عظيم ولا بشيء
قيم ولا باق إلا إذا بذل الجهد في سبيله .
وقد بذلت أول جهد مستجيباً لدعائه . كان ذلك حين
كان يدعوني إلى أن أرفع بعض الصخور لأبحث تحتها عن

سلاح كان يزعم لي أن يوسيدون^(١٠) خبأه . وكان يضعه
حين كان يرى هذا التمرين يزيد قوتي نموا واشتدادا . وهذا
التمرين العضلي كان يصاحب تمرينا للإرادة . وبعد أن رفعت
كثيرا من الصخور الثقال حول القصر باحثا في غير طائل
أخذت أحاول أن أنزع أحجار عتبة القصر ، هناك
وقفني وقال :

— إن السلاح أقل خطراً من الذراع التي تحمله ، وإن
الذراع أقل خطراً من الإرادة العاقلة التي توجهها . هالك
السلاح . لم أرد أن أدفعه إليك قبل أن تستحقه . وإني أجد
عندك الآن الرغبة في اصطناعه ، وهذا الميل إلى المجد الذي
لن يتركك تصطنعه إلا في الأمور النبيلة ذات الخطر وفيما يسعد
الناس . لقد انقضى عصر طفولتك ، فكن رجلا . تعلم أن
تبين للناس ما يمكن أن يكون وما يريد أن يكون واحد منهم .
إن هناك أمورا جساما يجب أن تتحقق . فحقق نفسك .

كان أبي إيجيه (١١) رجلاً كريماً ملاً بما كل الملاءمة لما
يجب أن يكون عليه الرجل من الخصال . وأكاد أتوهم في
حقيقة الأمر أني لست ابنه إلا ظناً . قيل لي هذا ، وقيل
لي كذلك إن الإله پوسيدون هو الذي ولدني . فإذا
صح هذا فقد ورثت عن هذا الإله أخلاق التي لا تثبت
على شيء . فلم أستطع أن أثبت على حب امرأة . وكان إيجيه
بمعنى من ذلك أحياناً . ولكني أحمد له وصايته ، وأحمد
له كذلك أنه رد في أتتكا كثيراً من الاعتبار والتقدير
إلى عبادة أفروديت (١٢) ، ويحزنني أني دفعته إلى الموت بما

اضطرت إليه من هذا النسيان الخطير حين أنسيت أن أرفع على السفينة التي عادت بي من أقریطش^(١٣) شرعاً أيضاً مكان شرعها السود ، كما كان قد تم الاتفاق بيننا على ذلك إذا عدت منتصراً من هذه المغامرة الخطرة . وليس الإنسان قادراً على أن يفكر في كل شيء . وفي الحق أني سألت نفسي — وقاما أسألها — لا أستطيع أن أوكد أني تركت ذلك عن نسيان ؛ فقد كان إيجيه كما قلت يقوم عقبه بيني وبين الحب ، ولا سيما بعد أن استكشفت له ميديه^(١٤) وسيلة ترده إلى الشباب حين رآته ورأى نفسه هرما يسرع إليه الفناء ، فكان يصدني بأهوائه عن أهوائى ، على حين أن طبيعة الأشياء تقتضى أن يتناوب الناس حظوظهم في هذه الحياة . ومهما يكن من شيء ، فقد علمت حين دخلت أتينا أنه لم يكده يرى الشرع السود حتى قذف بنفسه إلى البحر .

ومن الحقائق أنى أدت إلى الناس خدمات جليلة ،
فقد طهرت الأرض من كثير من الطغاة وقطاع الطرق
والوحوش ، وجبت طرقا خطيرة لم يكن المغامرون يحاولون
سلوكها إلا خائفين ، وصفت السماء حتى أصبح الناس أقل
إحناء للرءوس وأقل خوفا من المفاجآت . . .

ويجب الاعتراف أن مظهر الريف في ذلك الوقت لم
يكن يشعر بأمن أو طمأنينة ؛ فقد كانت تمتد بين القرى
المتناهية مسافات من القفر تقطعها طرق مخوفة . وكانت
هناك غابات كثاف وثنيات ضيقة بين الجبال . وكان أرصاد
من قطاع الطرق قد استقروا في الأماكن المرعبة ، وجعلوا
يقتلون المسافرين وينهبون ما كانوا يحملون ، ولم يكونوا
يخضعون لرقابة شرطة أو حراس . وكان قطع الطريق
يضاف إلى السطو والسرقة العنيفة وإلى اعتداء الحيوان
المتفرس وإلى هذه القوى المنكرة لعناصر الطبيعة

الماكرة، بحيث لم يكن الناس يتبينون حين يرون مغامراً
 أصابه مكروه: أكان ضحية لمكر الآلهة أم كان ضحية
 لعدوان الناس؟ كما أنهم لم يكونوا يعلمون أكان
 هذا الوحش أو ذاك كأبي الهول الذي قهره أوديب
 والجورجوني^(١٥) التي قتلها بليروفون^(١٦) صنفاً من الناس
 أم صنفاً من الآلهة؟ كل شيء لا يسهل فهمه كان يظن به
 أنه من عمل الآلهة، وقد كان الدين مليئاً بالخوف حتى كان
 الناس يرون البطولة إنمأً وفجوراً. وكان أول الانتصار
 الذي ظفر به الإنسان وأعظمه خطراً هو انتصار الإنسان
 على الآلهة.

ولم يكن سبيل إلى قهر العدو سواء أكان إنساناً أم
 إلهاً إلا أن تظفر بسلاحه وتقهره بهذا السلاح. كذلك
 فعلت حين اغتصبت من بيريبيتيس^(١٧) سلاحه، وكان مارداً
 عانياً بعيد الصيت يقيم في مدينة ابيدور^(١٨). وصعقة

وس نفسها أوكد أن وقتاً سيأتي يستطيع الناس فيه
 يسخروها لحاجاتهم كما استطاع برومئوس (١٩) أن
 تخلص النار من الآلهة

نعم! هذه هي الانتصارات الحاسمة . أما بالقياس إلى
 النساء وهن مصدر قوتي وضعفي في وقت واحد ، فلم يتح
 انتصار حاسم قط ، وإنما احتجت دائماً إلى استئناف
 جهاد . لم أكن أفلت من إحداهن إلا لأقع في جائل
 يها . ولم أكن أظهر على إحداهن إلا بعد أن تظهر
 علي . لقد كان بيريتوس^(٢٠) محققاً حين كان
 يقول — وما أكثر ما كنا نتفق في الرأي — إنما المهم
 ألا يدع الإنسان نفسه يصبح لعبة لإحداهن ،
 كما كان هيرقل^(٢١) بين ذراعي أمفال^(٢٢) . ولما كنت
 أستطيع ولا أريد أن أمتنع على النساء ، فقد كان يقول لي
 كما رأيتني نهبا للحب « امض ولكن تحول » . أما تلك

التي أرادت أن تحتاط لي فتكافت أن تصل بينها وبينى بحيث
 أمسكته، ولكنه لم يكن يمتد إلى غير مدى، فهي التي ...
 ولكن الوقت لم يثن للحدث عن هذه القصة ..
 وكانت أنتيوب^(٢٣) أقربهن إلى امتلاكى . كانت
 ملكة الأمازون^(٢٤)، وكانت كبقية رعيته الإناث
 عوراء الصدر ليس لها إلا ثدى واحد، ولكن هذا
 لم يكن يعيبها . كانت قد مرنت على السباق والصراع،
 وكانت عضلاتها صلاباً غزاراً كعضلات المصارعين من
 فتياننا . جاهدتها . وكانت تضطرب بين ذراعى ، كأنها
 السنور العظيم . فإذا نزع سلاحها جاهدت بالمخالب
 والأسنان ، وكانت تثور حين ترانى أضحك — وكنت
 مثلها لا سلاح لي — وتثور خاصة لأنها لم تكن تملك أن
 تصرف عنى حبها ، لم تتح لي قط امرأة أجمع منها لخصال
 العذراء ولا على بعد ذلك أنها لم ترضع ابنتا هيپوليت إلا

من ثدى واحد ، فقد كنت حريصاً على أن يكون هذا
العفيف النافر ولى عهدى . وسأقص فيما بعد ما جعل
حياتى كلها حداداً . فليس يكفى أن يوجد الإنسان ،
ولا أن يكون قد وجد ، وإنما يجب أن يورث ويعمل
بحيث يشعر أن وجوده لم يتم ، وأنه مازال متصلاً محتاجاً
إلى أن يكمل . كذلك كان يعيد على جدى . لقد
كان بيتيه ^(٢٥) وإيچيه أذكى منى قلباً ، كما أن
تيسوس يفضلنى الآن فى الذكاء . ولكن يعرف الناس
فى حسن التقدير فأما سائر خصال الخير فتأتى بعد ذلك
مادمتم لم أفقد قط الإرادة التى تدفعنى إلى الرغبة فى
الإتقان لكل ما أحاول . كما أن لى حظاً من شجاعة
بدفعنى إلى محاولة الأمور الجسام . كنت من أشد الشباب
طمعاً ، وكانت المآثر التى تنقل إلى عن ابن خالتي هرقل
زيد شهابى طموحاً وقلقاً ، ولما تركت تريزين ^(٢٦) وهى

المدينة التي كنت أعيش فيها لألحق في أثينا بأبي المفروض،
لم أرد أن أسمع للنصائح التي قدمت إليّ على ما كانت تمتاز
به من سداد . كان يشار عليّ بركوب البحر ، لأن طريق
البحر أشدّ أمناً . ومن أجل هذا الخطر كنت أوثر
طرق البر لأنها بما فيها من التواء كانت تتيح لي ان أظهر
حسن بلائي . وكانت جماعات مختلفة من قطاع الطرق قد
ملأت الأرض فساداً أسرفت في ذلك آمنة منذ أخذ
هيرقل يستأنث على قدمي أو مفال . كنت في
السادسة عشرة . وكان الميدان أممي رحبا ، وكانت نوبتي
قد حلت ، وكان قلبي يتوثب إلى أقصى حدود ما كنت
أجد من فرح ومرح . هنالك صححت : ما حاجتي إلى الأمن
أو إلى طريق قد طهرت من الخوف . وكنت أزدري
الراحة في غير مجد ، كما كنت أزدري الترف والكسل .
وإذن فقد جربت نفسي حين سلكت إلى أثينا برزخ

بيلوپونيز (٢٧) ، فعرفت قوة ذراعى ، وقوة قلبى ، حين
 قهرت بعض الخوفين من قطاع الطريق : سنيس (٢٨) ،
 بيربيتيس ، بروكروست (٢٩) ، چيريون (٣٠) ، (لقد
 أخطأت إنما قهره هيرقل ، أما أنا فقد أردت أن أقول
 سيرسيون (٣١)) ، بل ارتكبت فى ذلك الوقت خطأ يسيراً
 حين أسأت إلى سيرون (٣٢) ، وكان فيما يظهر رجلاً
 كريماً حسن النية حسن الرعاية لمن يمر به ، ولكنى لم أعلم
 ذلك إلا بعد فوات الوقت ، ومن حيث إنى قد ظهرت
 عليه وقتلته فقد تقرر أنه كان مجرماً أثمياً .

وفى طريقى إلى أثينا أيضاً لقيت أول ابتسامات الحب
 بين جماعة من نبات الهليون . كانت بيريجون (٣٣) طويلة
 لدنة ، وكنت قد قتلت أباهما ، فكافأتهما بأن منحتهما غلاماً
 رائعاً هو : ميناليب (٣٤) . وقد فقدت الصبى كما فقدت
 أمه لأنى تحولت عنهما ، حريصاً على ألا أتأخر فى الطريق .

وكذلك كنت دائماً أقل اشتغالا واتصالا بما عملت ، مني بما
ينبغي أن أعمل . وكنت أرى أن أشد الأشياء خطراً هو
ما أنتظر لا ما أتممت .

ومن هنا لن أطيل الوقوف عند هذه المعدات اليسيرة
التي لم تكد تمسني إلا قليلا . ولكن هأنذا بإزاء مغامرة
رائعة لم يتح مثلها لهيرقل نفسه . فيجب أن أقصها
مفصلة .

إنها قصة معقدة . يجب أن أقول قبل كل شيء إن جزيرة أقریطش كانت قوية . وكان يملك عليها مينوس ^(٣٥) وكان يرى أتيكا مسؤولة عن موت ابنه أندروجيه ^(٣٦) ، وكان قد فرض علينا ليعاقبنا ضريبة يجب أن نؤديها في كل عام . كان يجب أن نقدم إليه سبعة من الفتيان وسبعاً من الفتيات ليقتربوا فيما كان يقال طعاماً للمينوتور ^(٣٧) ، وهو الكائن الغريب الذي ولدته پاسيفاييه ^(٣٨) زوج ميسوس حين كانت بينها وبين ثور بعض الصلات . وكان هؤلاء الضحايا يختارون من طريق القرعة .

وكنت في هذا العام قد عدت إلى بلاد اليونان . ومع أن الحظ كان خليقاً أن يحميني — فهو يحمي الأمراء عن رضا — فقد ألححت في أن أكون بين الضحايا على رغم ما وجدت من مقاومة الملك والدي . . . فلست في حاجة إلى الامتيازات الموروثة ، ولا أريد أن أمتاز إلا بشجاعتى وبأسى . وكنت أدير في نفسى أنى سأقهر المينوتور وأريح اليونان من هذه الضريبة البشعة ، وكنت على ذلك مشوقاً إلى أن أرى أقریطش التى كانت ترسل إلينا فى أتیکا بغير انقطاع أشياء جميلة مترفة غريبة . فقد سافرت إذن بعد أن انضممت إلى الثلاثة عشر الآخرين وبينهم صديقى بيريتوس .

وقد ألفت سفينتنا مرساها ذات صباح من أيام مارس فى ضاحية أمنيسوس (٣٩) وهى الميناء القريب بمدينة كنوسوس (٤٠) عاصمة الجزيرة حيث يقيم الملك وحيث

بني قصره . وكان يجب أن نصل من الليل ، ولكن
عاصفة شديدة أخرتنا . فلما هبطنا إلى الساحل أحاط بنا
أحراس مسلحون ، ثم أخذوا سيفي وسيف صديقي
بيريتوس ، واستوثقوا من أننا لا نحمل سلاحاً آخر ،
ثم قادونا لنمثل بين يدي الملك الذي أقبل من كنوسوس
مع حاشيته . وكانت جماعات ضخمة من الشعب تزدهم
لترانا . وكان الرجال جميعاً عراة الصدور والظهور ، وكان
مينوس وحده وقد جلس تحت مظلته قد اتخذ رداء أحمر
قائماً غير مخيط يتدلى من كتفيه إلى كعبيه في أثناء نغمة .
وعلى صدره العريض كأنه صدر دوس قد انتظمت عقود
ثلاثة بعضها فوق بعض . وكثير من أهل الجزيرة
يخذون مثل هذه العقود ولكنها عقود مبتذلة . أما
عقود الملك فكانت تأتلف من الجمان وقطع من الذهب
الذي نقشت عليها أزهار السوسن . وكان يجلس على عرش

تعلوه الفأس المثناة ، واتخذ في يمينه التي قدمها إلى أمام
مباعداً بينها وبين جسمه صولجانا من الذهب يبلغ قامته
طولا ، وأمسك بيده الأخرى زهرة مثلثة الأوراق
تشبه ما اشتملت عليه عقوده لولا أنها أكبر منها . وهي
في أكبر الظن من ذهب . وعلى تاجه الذهبي قامت علامة
ضخمة من ريش الطاوس والنعام والألكيون^(٤١) . وقد
أطال النظر إلينا بعد أن رحب بنا في جزيرته مجريا على
ثغره ابتسامة توشك أن تكون ساخرة ؛ فقد كان يعلم
أننا إنما أتينا إلى جزيرته مقضيا علينا . وكانت الملكة
وابنتاها الأميرتان قائمات إلى جانبه . وقد خيل إلى فوراً
أن كبرى الأميرتين قد لحظتنى . وقد هم الأحراس أن
يقودونا ولكن رأيتها تميل إلى اذن الملك وتقول له في
صوت خافت باليونانية . وقد سمعتها لأنى دقيق السمع :
« إنى أضرع إليك في أن تبقى على هذا » . تقول ذلك وهي

تشير إلىّ باصبعها . هنالك ابتسم مينوس وأصدر امره فلم يقدر الحرس إلا رفاقي . ولم أكد أنفرد بين يديه حتى أخذ في سؤالى .

ومع أنى قد أزمعت أن أصدر عن الحذر الشديد فى كل ما آتى ، وألا أظهر شيئاً من نسبي النبيل ، ولا من خططى الجريمة ، وقد ظهر لى فجاءة أن من الخير أن ألعب لعباً صريحاً ما دامت الأميرة قد التفتت إلىّ ، وأن شيئاً لن يستطيع أن يصل بينها وبينى ويكفل لى عطف الملك علىّ كما يستطيع ذلك إعلانى إليهما أنى حفيد بيتيه . بل قد لمحت بأن الناس يتحدثون فى أتيكا بأن پوسيدون العظيم قد ولدنى . هنالك قال الملك فى جد : سنتبين ذلك بعد قليل حين نخضعك لامتحان الموج . فلم أتردد فى أن أجيب بأنى واثق بأن أخرج ظافراً من كل امتحان . وقد أظهر سيدات القصر هؤلاء

شيئاً من التأثر حين رأيت ثقتي بنفسى ، وإن كنت لم أر ذلك فى وجه مينوس . قال الملك :

— أما الآن فأنصرف إلى تجديد قواك . فإن رفاقك ينتظرونك على المائدة ، ويجب أن تكون محتاجاً كما يقال هنا إلى أن تقيم أودك بعد هذه الليلة الشاقة . خذ حظك من الراحة . وأرجو أن تشهد عند آخر النهار ألعاباً رسمية ستقام تكريماً لك . ثم نستصحبك أيها الأمير نيسوس إلى كنوسوس ، حيث تنام فى غرفة من غرفات القصر ثم تشاركنا من غد فى العشاء . سيكون عشاء يسيراً ، عشاء أسرة ، ترسل فيه نفسك على سجيبتها ويسعد هؤلاء السيدات بأن يسمعنك تحدثهن بما قدمت من مآثر وما أحسنت من بلاء . أما الآن فسيأخذن زينتهن استعداداً للحفل . سنلقاتك هناك وستجلس مع رفاقك تحت المقصورة الملكية مباشرة ، ذلك مكان

منسوم لك لأنك أمير . وسيشرف رفاقك بالجلوس فيه
 معك ؛ فما أحب أن أفرق بينك وبينهم .

وقد أقيم هذا الحفل في ملعب عظيم في شكل نصف
 دائرة ينفرج مما يلي البحر . وقد شهدته جمهور ضخمة من
 رجال والنساء أقبلوا من كنوسوس وليتوس (٤٢) ، بل
 جاء بعضهم من جورتين (٤٣) ، على أنها تبعد عن مكان
 الحفل نحو مئتي فرسخ ، وجاء بعض الناس من مدن وقرى
 أخرى مجاورة ، كما جاء آخرون من الريف الذي يقال إنه
 اكتظ بالسكان . وكان الدهش يأخذني من جميع حواسي ،
 لم أكن أستطيع أن أصور إلى أي حد كنت أرى أهل
 الجزيرة غرباء . ولما لم يكن يتاح لهم جميعاً أن يتخذوا مجالس
 المدرج ، فقد كانوا يزدحمون ويتدافعون في المسارب
 على درجات السلم . وكانت جماعة النساء ضخمة كجماعة
 الرجال ، وكن عاريات الصدور والظهور ، وقليل منهن

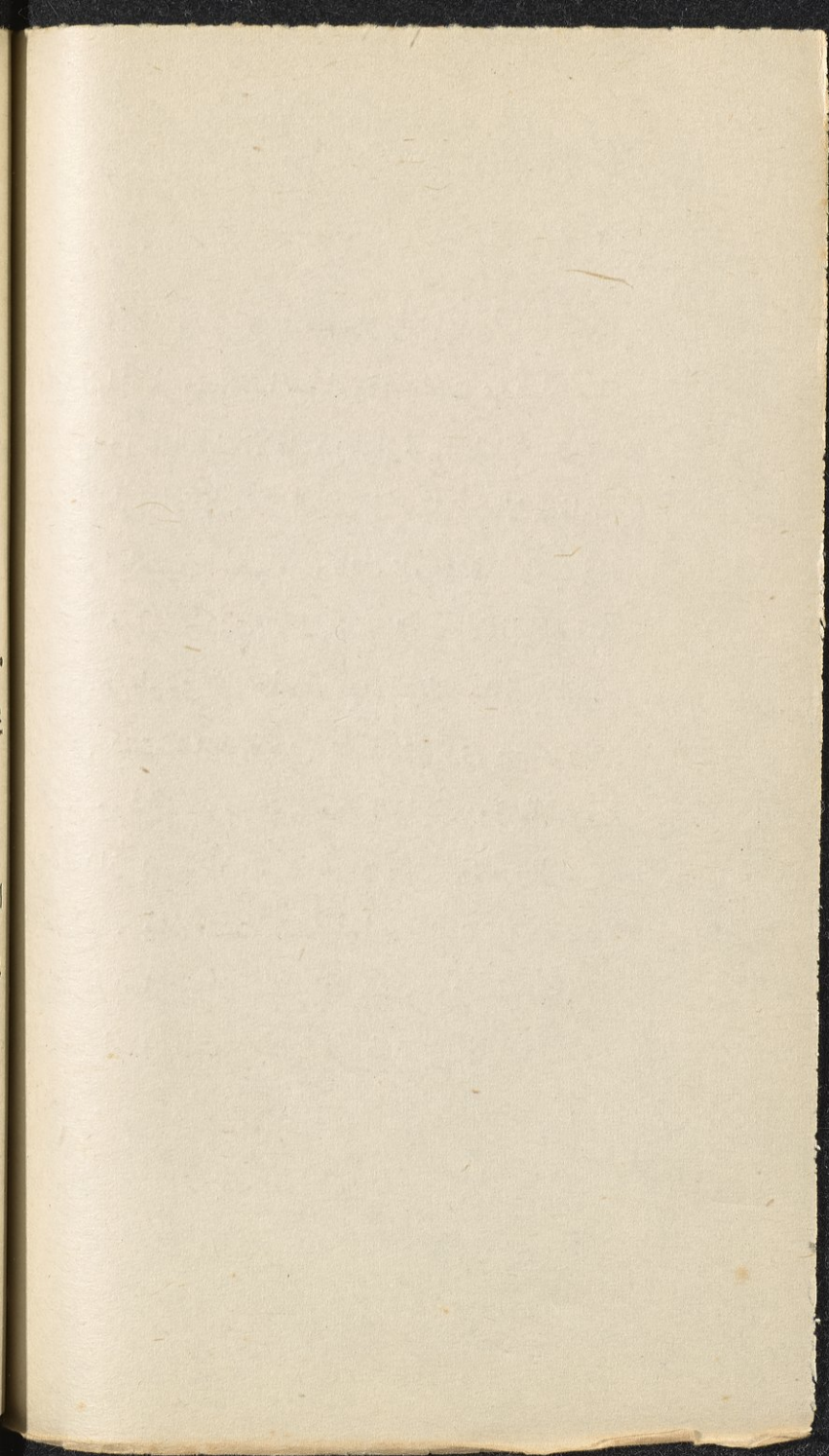
كن يتخذن القراطق قد انفرجت عن صدورهن انفرجا
 واسعاً رأيته مخالفاً للحياء لما كان يظهر من أئدائهن
 وكانوا جميعاً رجالاً ونساءً قد اتخذوا مناطق شدوها
 شداً عنيفاً على أوساطهم، فبدت خصورهم غاية في الضآفة
 والنحول كأنها المرامل. وكان الرجال سمرّاً قد اتخذوا في
 أيديهم وسواعدهم وأعناقهم من الخواتم والأساور والعقود
 مثل ما اتخذ النساء. وكانت كثيرتهن تمتاز ببياض
 البشرة؛ وكانت الوجوه كلها حليقة لا يستثنى من
 ذلك إلا وجه الملك ووجه أخيه رادامنت (٤٤) ووجه
 صديقه ديدال (٤٤). وكان سيدات القصر قد اتخذن
 أماكنهن في المقصورة التي أجلسنا تحتها وقد عرضن زينة
 رائعة مترفة من الثياب والحلى، وأشرفن على ميدان اللعب
 وكانت كل واحدة منهن قد أحاطت خصرها بثوب أحففت
 به قطع عراض من النسيج، فهو منتفش في صورة رائعة

كما يلي الخصر ، تم هو يتدلى في منظر جميل مختلط حتى
 يبلغ الأقدام التي حبست في أحذية من الجلد الأبيض ،
 وكانت الملكة في وسط المقصورة تمتاز منهن جميعاً بزینتها
 الفخمة . قد عرى صدرها وذراعاها . وقد فصلت على
 يديها العظیمین ضروب الجواهر من اللؤلؤ والمينا
 والأحجار النفيسة . وقد أحيط وجهها بخصل طويلة
 سود ، ورصفت على جبهتها خصيلات دقاق . وكانت
 شرهة الشفتين ، منقبضة الأنف ، كبيرة العينين فارغتهما
 منهنما نظرات توشك أن تشبه نظرات الصوار . وقد
 أخذت شيئاً يشبه أن يكون تاجاً من الذهب لم تضعه
 على شعرها مباشرة ، وإنما وضعته على قلنسوة قائمة غريبة
 غير الضحك ، وهي تنفذ من التاج وتنتهي بطرف مرتفع
 يحد ينعطف إلى الأمام كأنه القرن قد انحنى على جبهتها .
 وكان قرطها المفتوح من امام إلى منطقتها يرقى على

ظهرها حتى يبلغ العنق ، فيحاول أن يحيطه ببنيقة شديدة
 الانفراج . وكان ثوبها النصفى المنتشر من حولها يعرض
 للإعجاب على بياضه المشرب بالصفرة ضروباً من الطراز
 بعضها دون بعض ، منها ما يصور السوسن الأرجواني ،
 ومنها ما يصور الزعفران ، وأسفلها يصور زهران
 البنفسج وقد أحاطت بها أوراقها الخضر . ولما كنت
 تحت مقصورتها كنت أراها من قريب جداً كلما التفت
 إلى وراء . وكنت أفتن بحسن اختيار الألوان وجمال
 الطراز ودقة العمل وبلوغه حد الكمال .

وكانت أريان^(٤٦) ابنتها الكبرى قد جلست عن يمين
 أمها مشرفة على اللعب ، وقد اتخذت زينة أقل فخامة من
 زينة الملكة ، واتخذت ثوبها من لون آخر ، فلم يكن
 ثوبها النصفى ولا ثوب أختها يحملان إلا صفيين من الطراز
 فأما الصف الأعلى فكان يرسم كلاباً ومهاً ، وأما الصف

الأسفل فكان يرسم كلاباً وحجلاً. أما فيدر^(٣٧) فكان واضحاً أنها أصغر من أختها سنّاً، وقد جلست عن يسار أمها باسيفاييه ورسم الصف الأعلى من طراز ثوبها أطفالاً يعدون وراء الأطواق، كما رسم الصف الأسفل أطفالاً صغاراً قد انحنوا يلعبون بالحصباء. وكانت تنعم بمنظر اللعب في طفولة ظاهرة. وكنت أنا لا أتبع اللعب إلا قليلاً، قد أخرجني عن طورى كل هذه الأشياء التي لا عهد لي بمثلها. ولكنى كنت شديد الدهش بما كنت أرى من مرونة اللاعبين ورشاقتهم وسرعتهم حين كانوا يغامرون بالظهور على الميدان بعد أن تركه لهم جماعات الغناء والرقص والصراع. وإذ كنت أتهيأ لمواجهة المينوتور فقد كنت حريصاً على أن أنتفع بما كنت أرى من مكرهم وتسللهم لعلى أستعين بشيء من ذلك على إجهاد الثور وإذها.



ولما قدمت أريان الجائزة لآخر الفائزين نهض مينوس
مؤذنا بانتهاء الحفل ، ودطاني وحيدا للقائه وقد وقف
بجيط به الحرس .

فلما صرت بين يديه قال لي :

— سأقودك أيها الأمير ثيسوس الآن إلى ساحل
البحر وأمتحنك هناك لنتبين أنك في الحق من ولد
بوسيدون .

ثم قادني إلى صخرة ترتفع متقدمة إلى البحر ويلطم
الموج أسفلها . وقال لي :

— سألتني تاجي في البحر لأبين لك أني واثق بأنك
سترده إليّ .

وكانت الملكة والاميرتان قد رغبتا في شهود
الامتحان ، فشجعني ذلك واندفعت أقول معترضاً
— أكلب أنا لأرد شيئاً إلى صاحبه ، وإن كان هذا
الشيء تاجاً ! دعني أغص في البحر لغير غاية ، ولك أن أتأكد
بما يدلك على أني قد أحسنت الغوص .

ودفعت الجراءة إلى أبعد من هذا . فقد مرت نسبة
قوية بعض الشيء ، فتزعت عن كتف الأميرة أريان طرحاً
وحملتها نحوى ، فلم ألبث أن التفتها مبتسماً كأن الأميرة
أولها من الآلهة قد قدمها إليّ . ثم خرجت من الصدارة
التي كانت تشل حركتي وأحطت خصري بهذه الطرحه ثم
طرفها بين نخذي ، ثم آخذاً له إلى أمام حتى أثبتته عند
الخصر ، أخيراً بذلك أن الحياء هو الذي يدفعني إلى هذا

الصنيع لأستر من جسمي مالا ينبغي أن يرى ، ولكنني في حقيقة الأمر إنما أردت أن أخفي منطقة من الجلد كنت قد استبقيتها ، وكنت قد علقته بهذه المنطقة كيساً صغيراً من الجلد . ولم أكن قد أحرزت في هذا الكيس شيئاً من النقد ، وإنما أحرزت فيه طائفة من الأحجار الكريمة اصطحبتها من بلاد اليونان ثقة مني بأن الأحجار الكريمة تحتفظ بقيمتها في كل مكان .

ثم تنفست تنفساً عميقاً ، واندفعت إلى البحر فغصت فيه . غصت فيه ممعنا في الغوص وكنت في ذلك ماهاً ، ثم لم أطفُ على سطح الماء إلا بعد أن استخرجت من الكيس ثلاثة أحجار من نفيس الجوهر أحدها من عقيق الجزع والآخران من العقيق الأخضر ، فلما بلغت الساحل قدمت في ظرف إلى الملكة عقيق الجزع وإلى كل من الأميرتين حجراً آخر ، مظهراً أنني قد استخرجتها من

القاع ، بل مظهراً أن يوسيدون قد قدمها إلى لأهديهما إلى
 هؤلاء السيدات . ولم يكن بد من هذه الحيلة ؛ فلم يكن
 من السائع أن توجد في أعماق البحر عند جزيرة أقریطش
 هذه الأحجار النادرة في بلادنا ، فضلاً عن أن أجد الوقت
 لتخيرها تحت الماء . وكان هذا أدلّ من الامتحان نفسه على
 أنى من نسل إلهى .

هنالك رد مينوس إلى سيفى .

ثم حملتنا العربات بعد قليل إلى كنوسوس .

وكنت مجهوداً قد بلغ بي الإعياء أقصاه ، حتى لم
 أدهش لهذا الفناء العظيم المنبسط أمام القصر ولهذا السلم
 الضخم ذى العمدة الدقاق ، وهذه الدهاليز الملتوية التي
 كان يقودني فيها خدم خفاف يسعون بين يديّ بالمشاعل
 حتى انتهوا بي إلى الغرفة التي هيئت لي في الطابق الثاني
 والتي كانت تضيئها جماعة من المصابيح . فلم أكد أدخلها
 حتى أطفئت كلها إلا واحداً . وعلى مضجع وثير عطر
 غرقت منذ تركوني في نوم عميق حتى كان المساء من غد ،

ومع ذلك فقد نمت في العربة نوما طويلا ، فلم نصل إلى
كنوسوس إلا حين أسفر الصبح ، وبعد سفر أنفقنا فيه
الليل كله . ولست آلف الغربية ، فلم ألبث أن لاحظت في
قصر مينوس أنى يونانى وأحسست انى غريب . وكنت أدهش
لكل ما ليس لى به عهد من الأزياء والعادات ، وما يتخذ
الناس في سيرتهم من الصور والحركات والآثاث (وكان
الآثاث في قصر أبى قليلا ضئيلا) كما كنت أدهش للأدوات
وطرق استعمالها . كنت أرى نفسى متوحشا بين هذا
الترف الرقيق ، وكان خطئى يزداد كلما دعا إلى الابتسام ،
وقد كنت متعودا أن أتناول الطعام بغير أداة ، أحمله إلى
فى بأصابعى ، وكنت أجدهذه الشوك المعدنية أو الذهبية
المنقوشة وهذه السكاكين أثقل تصريفاً علىّ حين أجلس
إلى المائدة من السلاح حين كنت أصرفه في الميدان .
وكانت النظرات توجه إلى وتثبت فيّ ، وكنت أمعن في

لخطأ حين كنت أشارك في الحديث . يا لآلهة ! لقد
كنت أجد نفسي في غير موضعي . وأنا الذي لم يحسن
لفظ شيئاً إلا أثناء الوحدة ، أصبحت أراني أشارك في
حياة اجتماعية . ولم يكن المهم أن أجهد وأن آخذ القوة
وسيلة إلى الفوز ، وإنما كان المهم أن أعجب ، وكنت
قليل العلم بوسائل ذلك إلى حد بعيد .

وقد أجلسنا إلى مائدة العشاء بين الأميرتين ، وكان
العشاء فيما قيل بسيطاً ، عشاء أسرة لا تكلف فيه .
والواقع أن أحداً لم يشهده إلا الملك والملكة ،
ورادامانت أخو الملك والأميرتان وأخوهما الصبي
جوكوس^(٤٨) ومرييه اليوناني الكورنثي الذي لم يُعنَ
أحد بتقديمه إلى .

وقد دعيت إلى أن أقص في لغتي (التي كان أهل القصر
يفهمونها ويتكلمونها على أحسن وجه مع شيء قليل من

انحراف اللسان) ما كان يسمى حسن بلائى . وقد سرنى
 أن رأيت الأميرة الفتاة فيدر وأخاها جلوكوس يضحكان
 حين كنت أقص تمثيل بروكروست بضحاياه وإخضاعى
 إياه لنفس المثلة حين كنت أقطع من أطرافه ما كان
 يتجاوز مضجعه . ولكنهم تجنبوا من شىء من الرقة أن
 يشيروا إلى المهمة التى جاءت بى إلى أقریطش ، ولم ينظروا
 إلىّ إلا على أنى مسافر ضيف .

ولم تنقطع أريان طوال العشاء عن مداعبة ركبتى
 بركبتها تحت غطاء المائدة ، ولكن الحرارة التى كانت
 تنبعث من فيدر الفتاة هى التى كانت تشيع فى القلق ،
 على حين كانت باسيفاييه الملكة جالسة أمامى تزدردنى
 بلحظها ازدراداً ، وكان مينوس إلى جانبها يحتفظ على
 ثغره بابتسامة صافية لا تعرف الكدر . أما رادامانت
 ذو اللحية الطويلة الشقراء ، فقد كان وحده يظهر شيئاً

من العبوس . وقد انصرف الملك وأخوه عن غرفة المائدة
بعد الصنف الرابع لأنهما كانا مضطربين فيما كانا يقولان إلى
الجلوس للقضاء . ولم أفهم إلا أخيراً معنى ما كانا يريدان .
لم أكن قد برئت بعد من ألم البحر ، وقد أكلت
كثيراً وشربت أكثر مما أكلت ألواناً مختلفة من الحمر
وفنوناً أخرى من الأشربة ، بحيث لم يمض إلا وقت
نصير حتى دارت بي الأرض وأنكرت نفسي ؛ فلم أعود
من قبل أن أشرب غير الماء أو النبيذ المقتول . ولما
كدت أفقد الصواب وكنت محتفظاً بفضل من قوة يمكنني
من النهوض ، استأذنت في الخروج . هنالك قادتنى الملكة
إلى حمام صغير متصل بمنزلها من القصر . فلما تخففت مما
كان يشقلني بقيء غزير لحقت بها في غرفتها فأجلستني إلى
جانبا على فراش وثير وأخذت تتحدث إلي . قالت :

— أى صديقي الشاب . . . أتأذن في أن أدعوك

بهذا الدعاء لئن نتفع مسرعين بهذه اللحظة القصيرة التي يخلو فيها كلانا إلى صاحبه ! لست كما تظن ولست أريد شخصك بريبة على ما أتيح لك من جمال وفتنة .

وعلى إلحاحها في أنها لم تكن تتجه إلا إلى نفسي أو إلى شيء لا أعرفه في أعماق ضميري ، لم تر بأساً بأن ترفع يدها إلى جبهتي . ثم تدسها من دون صدارتي الجلدية متحسسة عضلات صدري كأنها تريد أن تثبت من محضري . قالت :

— لست أجهل ما جاء بك إلى هذه الجزيرة ، وأريد أن أتقى خطأ . فقد أقبلت مزمعاً القتل . أقبلت تريد أن تصارع ابني . ولست أعلم بماذا حدثت من أمره ، وليس يعنيني أن أعلم . آه لا تصم أذنيك عما يوجه إليك قلبي من دعاء . ليكن المينوتور هو الوحش الذي صور لك أو لا يكن ، فإنه ابني .

وهنا رأيت من حسن الذوق أن أقول إنى أحب
 حوش ! ولكنها مضت فى حديثها دون أن تسمع لى :
 — افهم عنى ! إنى أضرع إليك ! إن لى طبيعة
 صوفة تحب بل لا تحب إلا ما يتصل بالآلهة . والشىء
 لى يعيظ هو أننا لا نعلم أين يتدىء الإله ولا
 أين ينتهى . وقد أطلت عشرة قريبتى ليدا^(٤٩) ومن
 عليها اتخذ الإله صورة بجمعة . وقد فهم مينوس طمعى
 أن ألد له وارثاً من أبناء الآلهة . ولكن كيف السبيل
 أن نميز ما يبقى من الحيوان فيما يلتقى الآلهة أنفسهم فى
 إرحام ؟ وإذا كان قد كتب على أن أندم على خطئى
 وأنا أشعر بأن تحدثنى إليك على هذا النحو يسلب
 كل عظمته — فإنى أوكد لك أى ثيسوس أن
 كان إلهياً حقاً فى اللحظة نفسها . فقد ينبغى أن
 أن ثورى لم يكن حيواناً عادياً . كان پوسيدون قد

قدمه إلينا . كان يجب أن نرده إليه قرباناً ، ولكن مينوس
 رآه أجمل وأروع من أن يضحى به . وهذا هو الذى
 حملنى فيما بعد على أن أفسر زلتى بأنها كانت انتقاماً من
 الإله . وأنت لاتجهل أن حماى أوروبا^(٥٠) قد اختطفها
 ثور تقمصه ذوس . ومن زواجهما بهذا الثور ولد مينوس
 نفسه . وهذا هو الذى حمل أسرته على أن تعظم أمر
 الثيرة . فلما ولد المينوتور ورأيت الملك يقطب حاجبيه
 لم يكن لى إلا أن أقول له : وأمك ما خطبها ؟ وكان من
 الحق عليه أن يفهم أن من الممكن أن أكون قد أخطأت
 وهو رجل حكيم ، وهو يعتقد أن ذوس قد ولاه مع أخيه
 رادامانت القضاء فى دار الموتى . وهو يرى أن من الحق
 أن يفهم الإنسان قبل أن يقضى ويقدر أنه لن يكون
 قاضياً عدلاً إلا بعد أن يمتحن فى نفسه أو فى أسرته بكل
 ألوان المحن . وفى هذا تشجيع عظيم لذوى قرابته ،

فأبناؤه وأنا، على ما يكون بيننا من اختلاف الأمزجة
والأهواء، نعمل بأغلاطنا الخاصة لنحسن إعداده لمنصبه
المنتظر. والمينوتور نفسه يشارك في ذلك عن غير علم.
ومن أجل ذلك أطلب إليك يا ثيسوس، بل أتوسل إليك
لا في ألا تسوءه بل في أن تصالحه وتتفق معه على نحو
ينحو الخصومة بين اليونان وأقريطش، ويزيل آثارها
المنكرة في البلدين.

كذلك كانت تتحدث معاملة يدها في إلحاح من دون
صدارتي حتى ضقت بذلك أشد الضيق؛ فقد كنت متأثراً
ببخار النييد وبهذا العطر الأرج الذي كان يفلت مع
لديها من قرطقها المفتوح. قالت:

— لنعد إلى الأمر الإلهي؛ فقد يجب دائماً
أن نعود إليه. وكيف لا تشعر يا ثيسوس بأن إلهاً قد
تمصك؟ ...

وكان مما يزيد نفسى ضيقا أن أريان ذات الجمال الرائع
الفاثن — وإن كنت أوتر أختها الصغرى — كانت قد
واعدتني باللحظ واللفظ على أن نلتقى فى الحديقة بعد
أن أفيق .

أى حديقة ! ولأى قصر ! يا لها جنة مشوقة قد تعلقت
بانتظار شيء لا أدري ما هو . . . تحت ضوء القمر . كان
ذلك فى شهر مارس ، وكان الربيع قد أخذ يخفق فى دفء
حلو . ولم أكد ألقى الهواء الطلق حتى انجلى عنى كل ضيق .
فلمست آلف الحياة فى أعماق الدور ، وإنما أوثر أن أتنفس
ملىء رثى . وقد أسرعرت إلى أريان ثم ألصقت فى لهفة
وعنف شفيتها إلى شفتى حتى كدنا نسقط جميعا . قالت :
— هلم . لا على أن يرانا الرءاون . ولكن ظل
الضرم أوفى للحديث .

ثم هبطت بي درجات وقادتني إلى مكان من الحديقة
يشد فيه التفاف الشجر حتى يخفي القمر دون أن يخفى
النعكاس ضوءه على البحر ، وكانت قد استبدلت من ثوبها
النصفي ذي الأطواق ومن منطقتها الصلبة ثوباً واسعاً
فضفاضاً كانت تُحس من دونه عارية . قالت :

— أ كاد أعرف ما تحدثت إليك به أُمي . إنها
مجنونة . مجنونة تستحق القيد ، وما ينبغي أن تحفل بما
تقول . فاعلم أولاً أنك معرض هنا لخطر عظيم . فأنا أعلم
أنك أقبلت لتصارع المينتور أخي لأُمي ، وإنما أريد
منفعتك ، فأحسن الإصغاء إليّ . وأنا واثقة بأنك
ستظهر عليه ،

فمراك يثبت أن فو زك واقع لاشك فيه

أست ترى أن هذه الجملة تزن بيتاً جميلاً من

الشعر؟ الست رقيق الحس؟ ولكن أحداً قبلك لم يستطع الخروج من اللابيرنت^(٥١) داره التي يسكنها ولن تستطيع أنت أن تخرج من هذه الدار إلا أن أعينك أنا، أنا خليلتك، أنا التي ستصبح خليلتك. ليس من اليسير أن زسم لنفسك صورة مقارنة للآبيرنت. سأقدمك إذا كان الغد إلى ديدال وسيصفها لك. فهو الذي بناها وهو نفسه لا يستطيع الآن أن يهتدى فيها إلى طريقه. وسينبئك كيف ضل فيها ابنه إيكار^(٥٢) حتى لم يستطع أن ينجو منها إلا طائراً في الهواء بجناحين. ولكني لا أجرؤ على أن أشير عليك بالطيران فإنه مغامرة خطيرة. والشئ الذي يجب أن تفهمه منذ الآن هو أن أملك الوحيد في النجاة رهين بالأ تتركى. لقد توثقت بينك وبينى منذ الآن صلة لا تنفصم ولا ينبغي أن تنفصم بحياة أو موت. لن تجد نفسك إلا بمعونتي، إلا لي،

إلا في . هذا شيء يجب أن تأخذه أو تدعه ليس لك
من دون ذلك خيار ، فإذا تركتني فالويل لك . وإذ
فهمت لك .

ثم أقبلت على غير حافلة بشيء واستسلمت لي محتفظة
بي بين ذراعيها حتى أسفر الصبح .

ويجب أن أعترف بأن وقت هذا اللهو قد طال علي
فلم أحب قط الإقامة حتى في ظلال النعيم ، وإنما أنا
مشغوف بالتنقل متى ذهبت عنى جدة ما ألتقي من الأمر .
ثم جعلت تقول : « لقد وعدتني » . ولم أكن قد وعدت
بشيء ، وإنما كنت حريصا على أن أستبقى حرיתי فلست
مدينة بنفسى إلا لنفسى .

ومع أن قوتي على الملاحظة كانت لا تزال مغشاة
ببخار السكر ، فقد خيل إلي أنها استسلمت في يسر حتى لم
أعتقد أنني كنت السابق إلى رضاها . وهذه الملاحظة هي

التي طوّعت لي فيما بعد أن أتخلص من أريان . وفوق ذلك فما أسرع ما ضقت بإسرافها في تكلف الرقة ! ضقت بالحاحها في تأكيد حبها الأبدى ، وبهذه الأسماء الحلوة التي كانت تدعوني بها . فقد كنت مرة متاعها الوحيد ، ومرة كنّارها ، ومرة كليبها ومرة صقيرها ومرة قصيبتها . ولست أبغض شيئاً كما أبغض هذه الألفاظ المصغرة . ثم إنها كانت مشغوفة بالأدب . فقد كانت تقول لي : « أي فلبى الصغير ، سيدبل زهر السوسن عما قريب . » على حين أن هذا الزهر كان قد بدأ يتفتح . وأنا أعلم أن كل شيء ينضى ، ولكني لا أحفل إلا بالساعة الحاضرة . وكانت تقول لي أيضا : « لن أستطيع أن أعيش بدونك . » وكان هذا يدفعني على ألا أفكر إلا في أن أعيش بدونها . وقد سألتها :

— ما عسى أن يقول أبوك الملك إن عرف هذا ؟

فأجابت :

— تعلم أيها الحبيب أن مينوس يحتمل كل شيء ، فهو يرى أن أحكم الحكمة أن يقبل الإنسان ما لا يستطيع له ردا . لم ينكر شيئاً حين عرف مغامرة أمي مع الثور ، وإنما زعم — كما حدثتني أمي — أنه لا يستطيع أن يمضى في محاورتها . ثم أضاف : « قد كان ما كان ، وليس إلى استدراكه من سبيل . » وسيقول هذا القول نفسه بالقياس إلينا . وأقصى ما في الأمر أن يطردك من قصره . وأي بأس بهذا سأتبعك حيثما تكون .

وكنت أقول في نفسي : سنرى !

وبعد أن أخذنا بحظنا من طعام يسير ، سألتها أن تصحبني إلى ديدال ، وأنبأتها بأني أريد أن أخلو إليه وأدير معه الحديث ؛ ولم تتركني إلا بعد أن أقسمت لها باسم پوسيدون على أني سألقاها في القصر بعد قليل .

لقد نهض ديدال لاستقباله حين فاجأته في حجرته
 المظلمة مقبلا على لويحات من الرصاص أمامه قد انتثرت
 من حولها أدوات غريبة . وهو رجل طوآل ، لم تنحن
 قامته على تقدم سنه ، وهو يحمل حية أطول من حية مينوس ،
 وكانت سوداء ، على حين كانت حية رادامونت شقراء ،
 أما حية ديدال فكانت مفضضة . وجهته العريضة تشقها
 الأخاديد أفقية ، وحاجباه المختلطان يكادان يحجبان نظراته
 حين يخفض رأسه . وهو طويل الحديث عميق الصوت .
 ويفهم محدثه أنه حين يصمت ، فإنما يفعل ذلك ليفكر .

وقد بدا فأثني على حسن بلائي الذي وصلت أخباره إليه ، فيما قال ، على اعتزاله وانقطاعه عن الناس . وأضاف إلى ذلك أني أبدو له أبله بعض الشيء ، وأنه لا يقدر حسن اصطناع السلاح ولا يرى أن قيمة الإنسان في قوة ذراعيه . قال :

— وقد رأيت قديماً سلفك هيرقل ، وكان أبله لا يستطيع أن يعطى شيئاً غير البطولة . وإنما أحببت منه ما أحب منك هذا الإقدام على غاية في غير تردد ولا تراجع ، بل هذا التهور الذي يدفعكما إلى أمام ويظهركما على العدو بعد أن ينصركما على ما في نفوسنا جميعاً من الجبن . وكان هيرقل أشد منك مثابرة وأحرص منك على الإيقان ، حزيننا بعض الشيء ، ولا سيما بعد أن يتم عمله . أما ما أحب منك فهو هذا الابتهاج الذي يميزك من هيرقل . ويعجبني منك أنك لا تريد أن تعوق نفسك

التفكير ؛ فالتفكير حظ قوم آخرين لا يعملون ولكنهم
يشئون للعاملين ما يدفعهم إلى العمل .

أعلم أن بيننا نسا ، وأنى — لا تُعِدُّ ذلك على
ثينوس ؛ فهو لا يعرف من ذلك شيئاً — أنى يونانى ؟
وفد أسفت حين اضطرتت إلى ترك أتیکا فى أثر خصومة
سجرت بينى وبين ابن أخى تالوس^(٥٣) وكان مثالا مثلى
نافسالى ، وكان قد ظفر بإيثار الشعب لأنه كان يحتفظ
للآلهة بشىء من المهابة الرهيبة ، يتوسل إلى ذلك
بمساك تماثيلهم بمناطق ضيقة تأخذ أجسامهم من أسفلها
تنسحبهم من الحركة على حين كنت أنا أطلق أعضائهم
بأفقرهم منا ، حتى تجدد بفضلى ذلك التجاور بين الأولب
والأرض ، وكنت من جهة أخرى أحاول أن أتخذ العلم
رسيلة إلى أن يصبح الناس أشباها للآلهة .

فقد كنت فى سنك ، حريصاً قبل كل شىء على أن

أتعلم ، وما أسرع ما أستيقنت بأن قوة الإنسان لا تغني
أو لا تكاد تغني عنه شيئاً إلا إذا أعانتها الآلهة ، وأن
المثل الذي يقول : « إن الأداة أجدي من القوة » لم يكن
مخطئاً . وما كنت لتقهر قطاع الطرق في البولونيز أو
في أتيكا لو لم تعنك على ذلك الأسلحة التي وعدك بها
أبوك . وكذلك فكرت في أني لن أغني شيئاً إذا لم أجده
ما أصطنع من أداة ، وأن سبيل ذلك هو أن أتقن
الحساب والميكانيكا والهندسة ، كما يتقنها المصريون على
الأقل ، فهم ينتفعون بها انتفاعاً عظيماً ، ثم فكرت في
أنى لن أنتفع بهذه العلوم في الحياة التطبيقية إلا إذا
تعرفت خصائص الأجسام ومميزاتها ، حتى الأجسام التي
لا يظهر أننا في حاجة عاجلة إلى استخدامها . فقد
يستكشف في هذه الأجسام كثير من المزايا لم يكن
نتوهمها من قبل ، شأنها في ذلك شأن الناس أنفسهم .

وكذلك أخذ حظي من المعرفة يتسع ويقوى .
 ثم أردت أن أعرف مهناً وصناعات وأقاليم ونباتات
 أخرى ، فزرت بلاداً بعيدة تلمذت فيها لعلماء أجنب ، لم
 أفارق أحداً منهم إلا بعد أن استقصيت ما كان عنده من
 العلم . ولكني بقيت يونانياً حيثما ذهبت وحيثما أقيمت ،
 ومن هنا عنيت بك أيها النسيب لأنك يوناني .

فلما رجعت إلى أقریطش تحدثت إلى مينوس عن
 أسفاري ودراساتي ، ثم أفضيت إليه بشيء كنت أزمعته
 وسألته أن يعينني على تحقيقه ، فيقدم إلي ما يحتاج إليه
 من مال وأداة ، وهو أن أبني وأنظم إلى جانب قصره
 داراً تشبه اللابيرنت الذي رأيتُهُ وأعجبت به في مصر على
 شاطئ بحيرة موريس^(١) ، على اختلاف في الرسم . في ذلك
 الوقت كان مينوس محرراً فقد ولدت له الملكة هذا
 الوحش الذي يسمى المينوتور ، وكان الملك يود لو

استطاع أن يخفي هذا الكائن الغريب على أعين الناس .
 فتقدم إلىَّ في أن أقيم له بناء تحيط به حدائق غير
 مسورة ، ولكنه مع ذلك يمك المينوتور في غير سجن
 دون أن يستطيع الخروج منه ، فأنفقت في ذلك ما كنت
 أملك من عناية ودراية .

وقد قدرت أن ليس هناك سجن يستطيع أن يمتنع
 على رغبة السجين في الفرار ، وأن ليس هناك أسوار ولا
 خنادق تستعصى على الجراءة والعزم ، فرأيت — وأرجو
 أن تحسن الفهم عني — أن الخير أن أقيم البناء وأنظمه
 بحيث لا يكون معجزاً لساكنة عن الهرب بل مانعاً له
 من التفكير في الهرب . فجمعت في هذا البناء ما يستجيب
 لشهوات الإنسان على اختلافها . وليست شهوات
 المينوتور كثيرة ولا شديدة الاختلاف ، ولكن كان على
 أن أفكر في الناس جميعاً وفي كل من يقضى عليه أن

دخل اللابيرنت . وكان يجب أيضاً بل قبل كل شيء أن
 نغف إرادتهم . ومن أجل ذلك ركبت ألواناً من
 صفاير يمزج فيما يدار عليهم من نبيذ . ولكن هذا
 لم يكن كافياً ، فوجدت أكثر منه . وكنت قد
 لاحظت أن هناك ألواناً من النباتات إذا أقيت في النار
 تارت وهي تحترق دخاناً مخدراً بعض الشيء ، فرأيت أنها
 ضخمة النفع فيما كنت أحاول من الأمر ، وقد استجابت
 لضبط لما دعوتها إليه ، فاتخذت مواقد لا تخمد نارها
 ليلاً أو نهار وغذوتها بهذه النباتات . والأبخرة التي
 سأعد منها لا تنيم الإرادة وحدها ، ولكنها تشيع سكرًا
 غلاباً ، وتدفع إلى فنون من الخطأ المغري ، وإلى ضروب
 من النشاط الفارغ تصدر عن رؤس قد تحملها الدهول
 بعث بها الشراب . ضروب من النشاط الفارغ ، لأنها
 لا تنتهي إلى شيء إلا أن يكون وهما ، ولا تثير إلا

مناظر لا تثبت ، لا تنتهي إلى غاية ولا تعتمد على منطق .
وتأثير هذه الأبخرة ليس متفقاً بالقياس إلى الذين
يخضعون له جميعاً ، وإنما هو يختلف باختلافها وينشأ عنه
اختلاط غريب يجعل لكل واحد لا يبرنته الخاص . وقد
كان اختلاط ابني إسكار فلسفياً يرقى إلى ما بعد الطبيعة .
أما أنا فأرى أبنية ضخمة وجمعاً من القصور المترابطة
تختلط فيها السلام والدهاليز . . . بحيث انتهى هذا كله في
تخليط ابني إلى مازق تتبعه خطوة غامضة إلى أمام .
ولكن أشد من هذا كله غرابة أن هذه العطور إذا
استنشقتها الإنسان حيناً لم يستطع أن يستغنى عنها ؛ لأن
الجسم والعقل قد اتخذا منها متاعاً لا قيمة بإزائه للحياة
الواقعة ولا رغبة في العودة إليها ، وإنما هو البقاء
والبقاء المتصل في اللابيرنت . ولما كنت أعلم أنك تريد
أن تنفذ إليه لتصارع فيه المينوتور فقد أردت أن أظهر لك

على جليلة الأمر . وما أطلت عليك الحديث إلا لا حدرك ؛
فإن تستطيع أن تخرج منه وحدك بل يجب أن
نصحبك أريان . ولكنها يجب أن تبقى على عتبة الدار
بحيث لا تشم هذا الارج . فيجب أن تحتفظ بعقلها
وصوابها في الوقت الذي تخضع أنت فيه للسكر . ولكن
اجتهد في أن تملك أمرك حتى حين يأخذك السكر ، هذا هو
المهم . وقد لا تعينك إرادتك على ذلك ، فقد قلت : إن
هذا الدخان يضعفها ، فقد خطر لي أن أجمع بينك وبين
أريان بخيط يمثل الواجب تمثيلا مُحَسَّسًا . هذا الخيط
يمكنك بل يضطرك إلى أن تعود إليها بعد أن تكون قد
بعدت عنها . واحرص على كل حال على ألا تقطعه مهما
لحط بك من الظروف ، ومهما تلح عليك المغريات ، ومهما
لذفعتك إليه شجاعتك من مغامرة . عد إليها وإلا ذهب
منك كل شيء ، بل ذهب عنك الخير كله . سيكون هذا

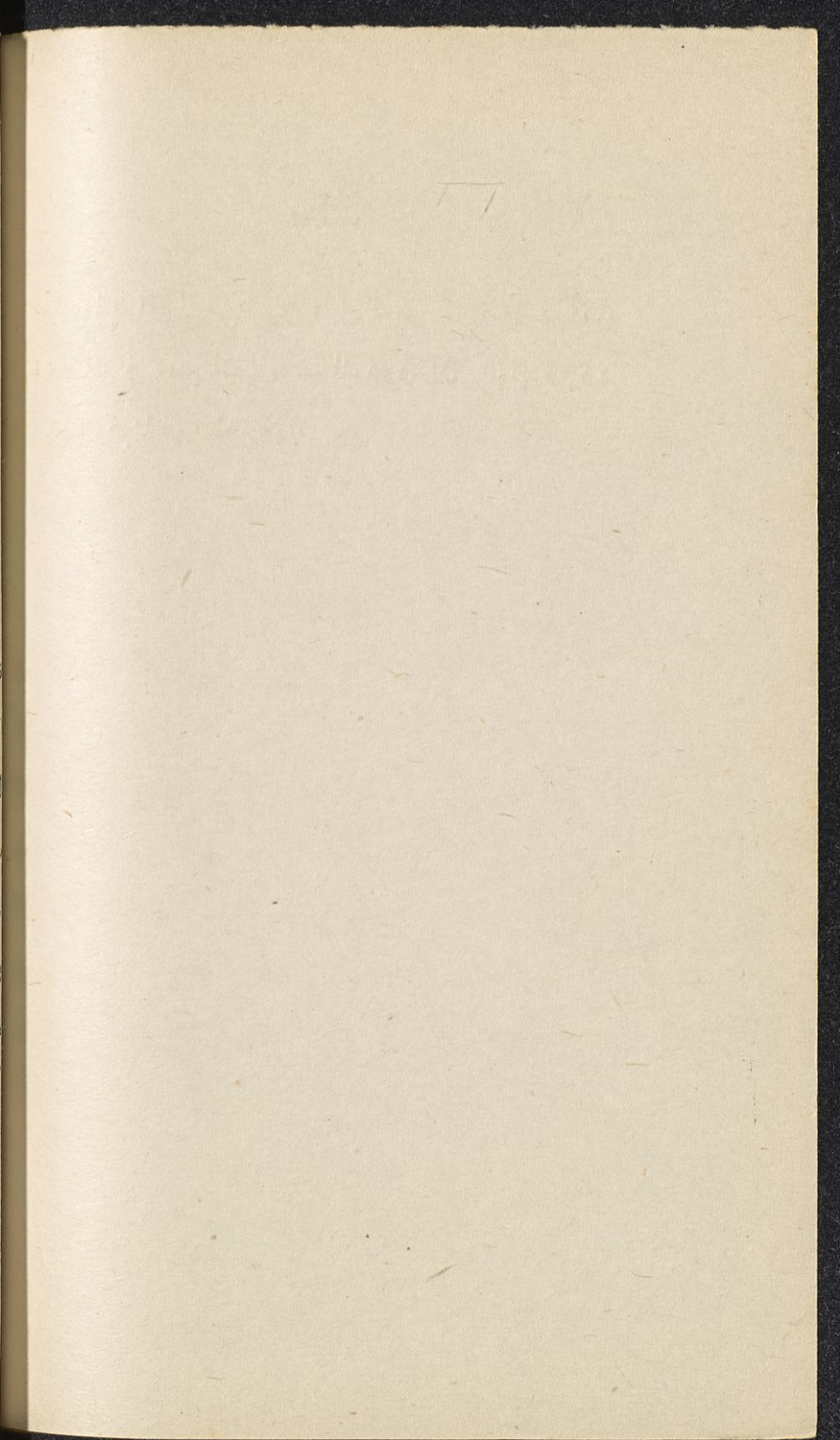
الخط وصل ما بينك وبين الماضي . فعد إليه ، عد إلى
نفسك . فلا شيء ينشأ من لا شيء ، ولن يعتمد مستقبل
أمرك إلا على ماضيك الذي كنت فيه وحاضرک الذي
أنت عليه .

وقد كنت خليقاً أن أحدثك أقل مما حدثتك لو أني
عُنت بك أقل مما اعنى بك في حقيقة الأمر . ولكني
أريد قبل أن تستقبل مصيرك أن تسمع لحديث ابني
فستحقق حين تسمعه مقدار الخطر الذي أنت مقدم عليه
وإن كان هو قد استطاع بفضل أن يفلت من فتنة
اللابيرنت ولكن عقله على ذلك قد ظل خاضعاً لسحر
هذه الفتنة .

ثم اتجه إلى باب منخفض وأزاح ما كان يغطيه من
أستار وقال في صوت رفيع :

— أي إيكار ، أي بُنيّ العزيز ، أقبل واعرض

علينا ما يساورك من القلق ، بل امض كما تفعل في أثناء
وحدتك في حديثك إلى نفسك دون أن تحفل بي ولا
بضيقي . هبنا غير حاضرين .



رأيت فتى يقبل وهو يوشك أن يكون في سنى وقد
 ظهر في هذا الضوء الضئيل رائع الجمال . وكان شعره
 الأشقر الطويل يتدلى خصلا على كتفيه . وكان لحظه
 ثابت يظهر كأنه لا يقف عند الأشياء . وكان عاريا إلى
 موضع النطاق قد شد حول خصره منطقة ضيقة من
 لعدن . وقد ظهر لي أن إزاراً واسعاً من نسيج أسود
 من جلد يأخذ من أعلى وركبته وقد جمع طرفاه بعقدة
 ضخمة . وقد وقفت عيناى على حذاءين من جلد أبيض
 كانا يشيران إلى أنه يتأهب للخروج ، ولكن عقله

وحده كان يسعى ، ولم يكن يظهر عليه أنه يرانا . وكان يقول ماضيا فيما كان يدير عقله من حديث :

— أيهما بدء الوجود : الرجل أم المرأة ؟ أيمن أن

يكون الخالد مؤنثا ؟ أيتها الصور الكثيرة أي أم هائلة

أخرجتك من أحشائها ؟ وأي مبدأ والد ألقاك في هذه

الأحشاء ؟ يا لها تثنية غير معقولة ، وإذن فالإله هو

الطفل . إن عقلي يرفض أن ينقسم الإله . فإن

قبول الانقسام معناه الصراع . كل مال للإله فهو

للحرب . ليست هناك آلهة وإنما هو إله واحد .

إن تسلط الإله هو السلام ، كل شيء يأوى ويألف

في الإله الواحد .

ثم سكت حيناً واستأنف قائلاً :

— لأجل أن نحقق الإله يجب على الإنسان أن

ينحاز وأن يضيق ؛ فليس الإله إلا متفرقا . إن الآلهة

منقسمون . الإله الواحد لا حد له . الآلهة الكثيرون
مجليون .

ثم عاد إلى الصمت واستأنف الحديث في صوت قلق
ولكن متقطع .

— ولكن ماسر هذا كله أيها الإله الواضح؟ ما أصل
هذا العناء؟ ما أصل هذا الجهد؟ ونحو ماذا؟ ما علة
الوجود؟ وما علة البحث عن علة لكل شيء؟ كيف
تتجه؟ وأين تقف؟ متى نستطيع أن نقول لقد انتهى كل
شيء آمين! كيف الوصول إلى الإله حين نبدأ من
الإنسان؟ وإذا بدأت من الإله فكيف أصل
إلى نفسي؟ ولكن أليس من الممكن أن يكون الإله
من صنع الناس كما أن الناس من صنع الإله؟ في
مفترق الطريق هذا، في قاب هذا الصليب يريد عقلي
أن يثبت .

وكان وهو يتحدث على هذا النحو يتصبب عرقاً
وتظهر عروق جبهته منتفخة ، أو ظهر لى ذلك على
الأقل ، فلم أكن أستطيع أن أتبينه فى الضوء الضئيل ،
ولكنى كنت أسمع يلهث كمن بذل جهداً عظيماً .
ثم سكت لحظة واستأنف قائلاً :

— لست أدري أين يبدأ الإله وأنا أقل علماً بأين
ينتهى ! بل لعل أحسن التعبير عما فى نفسى إن قلت إن
بداءته لاتنتهى . آه ! لقد سكرت بإذنٍ وبلثٍ وبما دام !
وبهذا التخليط والاستنتاج . لن أصل إلى قياس أجمل من
الذى وصلت إليه أول الأمر . فإذا كنت قد وضعت
فيه الإله فأنى واجده . ولا أجده إلا إن وضعته .
لقد جبت طرق المنطق كلها فى اتجاهها الأفقى حتى تعبت
من الأسفار . إنى لأزحف ، إنى لأريد أن أصعد ، أن
أخلص من ظلى ، من مادى القدرة ، أن أتخفف من ثقل

ماضى ، إن أفق السماء ليدعوني . يا للشعر ! يخيل إلى أن
نفسا علوياً يجذبني . أى عقل الإنسان : لأصعدن إلى
حيث تستطيع أن ترقى . إن أبى الخبير فى الرياضة سيهيب
لى الوسيلة إلى ذلك . سأذهب وحدى . أن لى من الجراءة
ما يمكننى من هذا . سأؤدى الثمن . لا سبيل إلى الخروج
من هذا . أيها العقل الرائع الذى طال تخبطه فى المشكلات
ستندفع فى طريق غير معبدة . لست أدرى ما هذا السحر
الذى يدعوني ، ولكنى أعلم أن ليست هناك إلا غاية
واحدة هى الإله .

ثم تركنا راجعا أدراجه حتى بلغ الأستار فأزالها
واستخفى من دونها وردها كما كانت . قال ديدال :

— ياله من طفل بأئس عزيز ! لم يكن يدرى كيف
يفلت من اللابيرنت ؛ لأنه لم يكن يعلم أن اللابيرنت
إنما هو فى نفسه، فصنعت له مستجيبا لدعائه جناحين

يتيحان له أن يطير . كان يرى أن لا طريق له إلا السماء
بعد أن أخذت عليه طرق الأرض . وكنت أعرف فيه
نزعة صوفية ، فلم تدهشني رغبته . رغبته لم تبلغ غايتها
كما رأيت ؛ فعلى رغم تحذيري أراد أن يصعد أكثر
مما ينبغي ! أسرف في تقدير قوته فهو إلى البحر . وفيه
لقي الموت . صحت دهشا .

— كيف يكون ذلك ؟ لقد رأيتك الآن حيا !

أجاب :

— نعم ! لقد رأيتك الآن وخيّل إليك أنه حي ولكنه
قد مات . وهنا أخشى يا ثيسوس ألا يستطيع عقلك ،
على أنه يوناني دقيق متقبل للحقائق كلها ، ألا يتبعني ؛
فأنا نفسي قد احتجت إلى وقت طويل لأفهم ما يأتي
وأطمئن إليه . كل واحد منا لا يحيا حياته الخاصة المقسومة
له إذا تبين أن ميزانه ثقيل حين توزن النفوس . فهو في

حياته الإنسانية ينمو ويتم ما كتب له ثم يموت . ولكن
 زمن نفسه لا يوجد بالقياس إلى حياة أخرى ، وهي
 الحياة الصحيحة الخالدة التي ترسم فيها كل حركة بمعناها
 الدقيق الذي تدل عليه . فقد كان إيكار قبل أن يولد ،
 وهو الآن بعد أن مات ، صررة القلق الإنساني والبحث
 والطموح والشعر ، وهو قد تقمص هذا كله أثناء حياته
 قصيرة . أدى مهمته كما كان ينبغي أن يؤديها ، ولكن
 مره لا يقف عنده وحده ، كذلك شأن الأبطال
 جميعاً ؛ فإن أعمالهم تبقى ثم يتناولها الشعر والفن فتصبح
 موزاً خالدة . ومن هنا ظل أوريون ^(٥٥) الصائد يتتبع
 في حقول البرواق في دار الموتى تلك الوحوش التي قتلها
 في حياته على حين صارت صورته نجماً في السماء . ومن هنا
 ما تنتال ^(٥٦) ظمناً إلى آخر الدهر ؛ وظل سينريف ^(٥٧)
 يرفع نحو القمة التي لا تُنال ، صخرته الثقيلة التي

لا تكاد تبلغ القمة حتى تهوى ، تصور بذلك ذلك الأهم
 الملح الذي لزم سيزيف حين كان ملكا لكورنت . فقد
 ينبغي أن تعلم أن ليس في دار الموتى عقوبة إلا استئناف
 الأعمال التي لم تتم .

الأمر في ذلك كالأمر في أنواع الحيوان كلها ،
 تموت الأشخاص دون أن يؤثر موتها في بقاء النوع
 ونموه ؛ فليس بين الحيوان شخص ، على حين أن الفرد
 وحده هو صاحب الخطر في النوع الإنساني . ومن
 هنا تستطيع أن تقول إن مينوس يحيا الآن في مدينته
 كنوسوس حياة هي مقدمة لحياته القضائية في الدار
 الآخرة ، كما أن پاسيفاييه وأريان تستجيبان لما كتب عليهما
 القضاء . وأنت نفسك يا ثيسوس على ما يظهر وما تعتقد
 من استخفافك بكل شيء ، لن تفلت كما لم يفلت هيرقل
 وچازون^(٥٨) وبرسيه^(٥٩) من هذا القضاء الذي فرض على

كل واحد منكم نفسه ، ورسم له طريقه . ويجب أن تعلم
 — فقد أتيت لي أن أستنبط المستقبل من الحاضر — أن
 أمامك أعمالاً جليلاً يجب أن تتمها ، وهي من نوع آخر
 بخالف ما قدمت من عمل فيما مضى . أعمال ستصغر أمامها
 ما أشركت التي أتممتها إلى الآن . عليك أن تنشىء أثينا وأن
 تقيم فيها سلطان العقل .

فلا تضيع وقتك في اللابيرنت ولا تضيعه بين ذراعى
 أريان حين تخرج من اللابيرنت ظافراً . امض لطيتك
 وانظر إلى الكسل على أنه خيانة ، وخذ نفسك بالألتمس
 الراحة إلا حين تتم ما كتب عليك وحين تأوى إلى الموت .
 وكذلك تستطيع بعد هذا الموت الظاهر أن تستأنف حياة
 متصلة متجددة فيما يدين الناس لك به من جميل . امض
 لطيتك ، امض أمامك . امض في طريقك أيها الفتى
 الشجاع مجمع المدن .

واسمع لي الآن يا ثيسوس واحفظ ما أقول لك .
ستنتصر على المينوتور في أكبر الظن دون كثير عناء ؛
فليس هو من البأس بحيث يقال . لقد قيل إنه يعيش على
لحم الإنسان ، ولكن متى رأيت الثيرة تعيش على شيء
آخر غير ما تنبت المروج ؟ إن دخول اللابيرنت يسير ،
ولكن ليس أشد عسراً من الخروج منه . لا سبيل إلى
أن يجد الإنسان نفسه فيه إلا بعد أن يضل أول الأمر .
ولن تستطيع أن ترجع أدراجك فليس للخطو فيه أثر ،
فيجب إذن أن تصل نفسك بأريان ، بهذا الخيط الذي
أعددت لك منه قدراً حسناً ، فخذ معك وأرسله كلما
تقدمت وكلما انتهت خصلة منه فصلها بخصلة أخرى بحيث
لا ينقطع ، فاذا أردت الرجوع فأدر هذا الخيط قليلا
قليلا حتى تبلغ أوله الذي أمسكت به أريان . لست أدري
لماذا ألحّ إلي هذا الحد ، فكل هذا يسير جداً ، إنما

سير ان تحتفظ إلى آخر خيط بالعزم الصادق على أن
 ود . وسيصطلح الأرج وما يبعث في نفسك من نسيان
 ب الاستطلاع لها وأشياء أخرى كثيرة على إضعاف
 العزم . لقد قلت لك هذا آنفا ، ولم يبق لدى شيء
 خر . هاك الخيط . وداعاً .
 تركت ديدال ولحقت بأريان .

ش
س
س
س
س

وهذا الخيط هو الذي أثار أول خصومة بين أريان
 وبني ؛ فقد أرادت أن أدفعه إليها وأن تحتفظ به في
 جرها زاعمة أن من عمل النساء جمع الخيط وتفريقه ،
 نها في ذلك ماهرة صناع ، ولكنها في حقيقة الأمر
 كانت تريد أن تسيطر على مصيري ، وهذا هو الشيء
 الذي لم أكن أرضاه مهما تكن الظروف . وكنت أقدر
 نأ أنها ستحرص على استبقائي فلا ترسل الخيط إلا في
 ، وقد تشده إليها إن أرادت فتحول بيني وبين
 نني إلى غايتي كما أريد . وقد أصرت على الامتناع رغم

سلاحها الاخير وهو الدموع ؛ لأنى كنت أعلم أن من
 شأن النساء إذا نزلت لهن عن أيسر الأمر ألا يرضين إلا
 بأكثره . أسلم لهن الأصبع الصغرى فستتبعها اليدهم
 الذراع ثم سائر الجسم .

ولم يكن هذا الخيط متخذاً من الكتان ولا من
 الصوف ، وإنما اتخذه ديدال من مادة صلبة لم يستطع سيفى
 حين جرّته أن يصنع فيها شيئاً . وقد تركت سيفى عند
 أريان مصمماً ، رغم ما بينه لى دايدال من أن الأداة تمنح
 الإنسان قوة إلى قوة ، على أن أصرع المينوتور بقوة
 ذراعى وحدها . فلما بلغت مدخل اللابيرات وهو
 رواق تزينه الفأس المثناة وهى علامة شائعة فى الجزيرة ،
 ألححت على أريان فى أن تلزمه ولا تفارقه ، وقد
 حرصت على أن تدير الخيط حول معصمى بعقدة
 زعمت أنها عقدة الزواج ، ثم ألصقت شفيتها بشفتى وقتنا

حسبته لن ينقضى . فقد كنت حريصا على أن أتقدم .
 وكان رفاقي الثلاثة عشر من الفتيات والفتيان وفيهم
 بيريتوس قد سبقوني . وقد وجدتهم في الحجرة الأولى وقد
 أذهلهم الأراج . وقد نسيت أن أقول إن ديدال قد أعطاني
 مع الخيط قطعة من النسيج قد غمسها في مادة مضادة لهذا
 الطيب ، وألح عليّ في أن أكم بها فمي دائما ، وأن أريان
 كانت قد استأثرت بهذه القطعة أيضاً عند الرواق . وبفضل
 هذه الكمامة استطعت أن أحتفظ بصوابي وإرادتي ،
 ولكنني كنت أختنق شيئاً ، فقد تعودت ، كما قلت ،
 ألا أجد الحياة الكاملة إلا في الهواء الطلق ، فكان هذا
 الهواء المغلق يضايقني بعض الشيء .

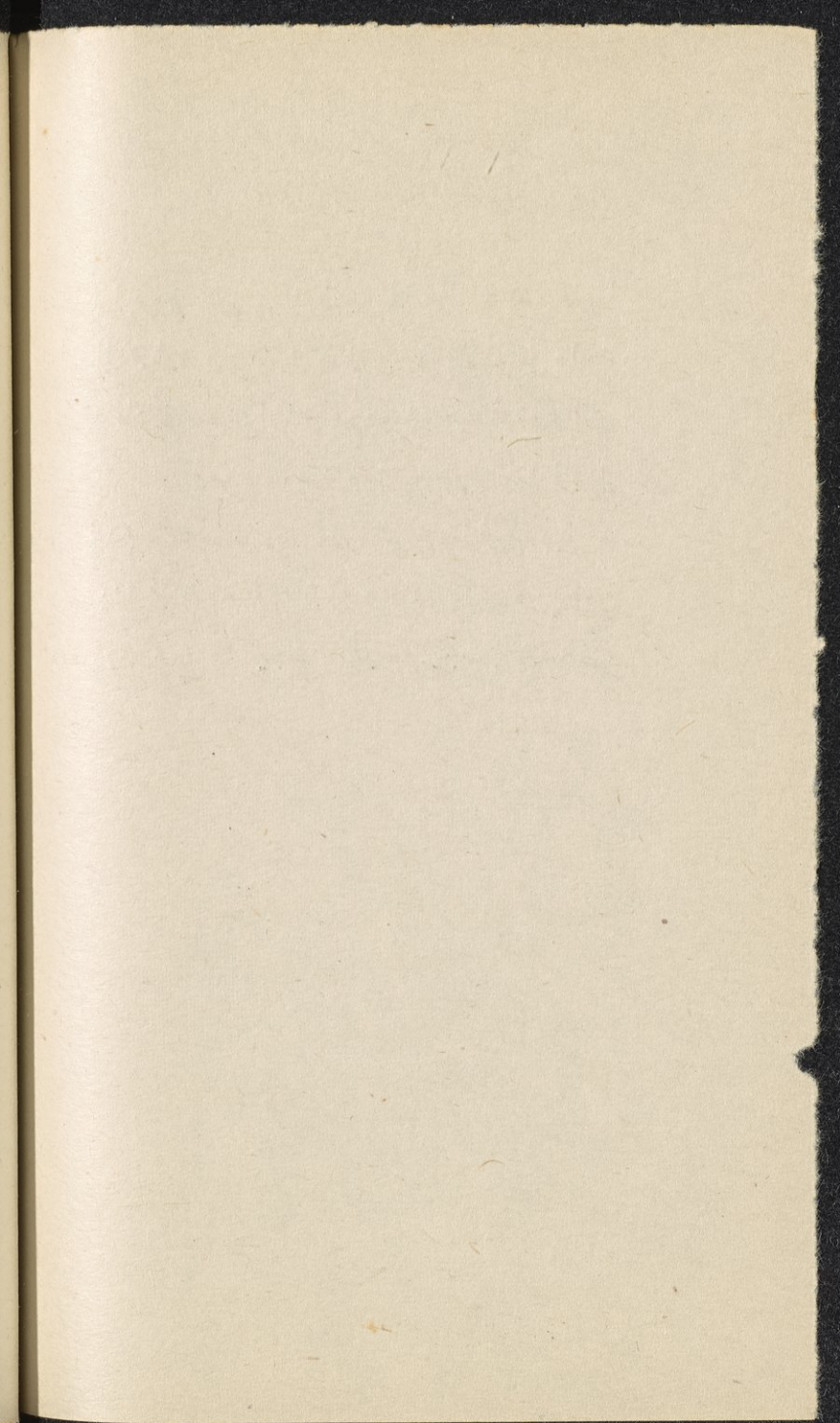
وتقدمت مرسلا الخيط حتى بلغت الحجرة الثانية ،
 فإذا هي أشد إظلاماً ، ثم بلغت أخرى أشد إظلاماً ثم
 انتهيت إلى أخرى لم أكن أتقدم فيها إلا متحسباً ،

ولكن يدي وهي تتبع الحائط لقيت مفتاح باب أدرته
فانفتح لي على ضوء ساطع ، وإذا أنا أبلغ حديقة . وارى
أمامي على أرض مبسوطة قد نسقت فيها شقائق النعمان
والخزامى والنسرين والقرنفل ، المينوتور مستلقياً
مسترخياً . وكان نائماً من حسن حظي . وكنت خليقاً أن
أتعجل وأن أستفيد من نومه ، ولكن هذا النوم نفسه
كان يقفني ، وكان الوحش جميلاً وكان أمره كأمر
السنطور ^(٦٠) قد اجتمعت له والتأمت فيه ملامح من
الإنسان والحيوان ، وكان شاباً ، وكان شبابه يضيف
إلى جماله ظرفاً لم أكن أحققه ، وكان هذا كله سلاحاً أقوى
بالقياس إلى من القوة ، فلم يكن لي بد من ان أستحضر
شجاعتي كلها . فلا سبيل إلى الجهاد المنتج إلا مع شيء
من البغض . ولم أكن أستطيع أن أبغضه ، بل لبثت
وقتاً أمعن النظر إليه ، ولكنه فتح إحدى عينيه

بينت أنه أبله ، ورأيت أن قد آن الوقت للإقدام .
 ولست أستطيع أن أذكر ما صنعت ولا ما كان على وجه
 التحقيق ؛ فقد كانت الكمامة تأخذ على التنفس ، ولكني
 مع ذلك لم أفات من تأثير الأرج حتى أصابني من ذلك
 ضعف في الذاكرة . فاذا كنت قد انتصرت على المينوتور
 لاني لم أحتفظ من ذلك إلا بأثر مختلط لا يخلو من لذة .
 ولست أبيع لنفسى أن أخترع ولا أن أتكثر ، ولكني
 ذكر كذلك أن جمال الحديقة كاد يلهيني عن نفسى ، ولم
 أخذ في إدارة الخيط بعد أن انتصرت على المينوتور لأجد
 محابى في الحجرة الأولى إلا أسفاً . وقد رأيتهم حول
 ائدة قد جمعت عليها ألوان من الطعام لا أدرى كيف
 باتت ولا من جاء بها ، وهم يزدردون ويعبّون ويعبث
 بعضهم بأجسام بعض ويضحكون كأنهم المجانين أو البله .
 ما هممت أن أخرجهم أبواً على وأعلنوا إلى أنهم راضون

حيث هم ، وأنهم لا يريدون خروجاً . وقد ألححت عليهم
وأنبأتهم أني أحمل إليهم الخلاص وإذا هم يتصايحون :
الخلاص من ماذا ! ثم أخذوا يسبونني ، وقد أحزنتني هذا
كثيراً لمكان بيريتوس ، فقد كان يتميزني في مشقة
ويعيب الشجاعة ويسخر من شجاعته هو ، ويعلمني في غير
تحفظ أنه لن يفارق لذته الحاضرة في سبيل المجد مهما يكن .
ولم أكن أستطيع أن ألومه ؛ فقد كنت أعلم أني لولا
احتياط ديدال لتورطت في مثل ما تورطوا فيه . ولم
أستطع أن أخرجهم إلا حين اصطنعت معهم العنف ،
وأعملت فيهم الوكز واللكز . وقد كانوا مثقلين بكثرة
ما أكلوا وشربوا وسكروا ، فلم يستطيعوا أن يقاوموا .
فلما خرجوا من اللابيرنت احتاجوا إلى وقت أي وقت
وجهد أي جهد ليستردوا صوابهم ويثوبوا إلى أنفسهم .
على أنهم لم يفعلوا ذلك إلا محزونين . وقد حدثوني فيما بعد

أنهم كانوا يرون أنهم يهبطون من قمة عالية يشع عليها
النسيم إلى قرارة وادٍ ضيق مظلم ضئيل؛ لأن كل واحد
منهم قد عاد إلى سجنه الخاص، وهو شخصه المحدود الذي
لا إفلات منه. ومع ذلك فقد جعل بيريتوس بعد قليل
يخس الندم على هذه الصنعة العابرة التي تورط فيها، ويؤكد
أنه سيشتري نفسه أمام نفسه وأمامى بكثير من حسن
البلاء. وما أسرع ما أتاحت له الفرصة ليثبت إخلاصه لى.



لم أكن أخفى عليه شيئاً ، فقد كان يعرف وجدى
 بأريان ووجدى عليها . بل لم أكن أخفى عليه أنى كنت
 متيماً بفيدير وإن لم تكن قد تجاوزت الصبا بعدُ . كانت
 فى ذلك الوقت تكثر من اصطناع أرجوحة قد علقت إلى
 نخلتين ، وكنت إذا رأيتها تترجح على هذا النحو وتعبث
 الريح بثوبها أخذنى شىء يشبه الدوار . ولكنى كنت
 أدير رأسى مسرعاً وأخفى ميلى متحفظاً إذا ظهرت أريان
 أخشى أن تثور غيرة الأخت الكبرى . ومن الشر أن
 يقصر الإنسان فى إرضاء ما يساور نفسه من رغبة ؛

ولكن لم يكن بد من اصطناع الحيلة والمكر لتحقيق ما كان يدور في خلدي من خطف هذه الصبية . هنالك ابتكر بيريتوس وسيلة إلى تحقيق مأربي ، دلت على ما كان يمتاز به من سعة الحيلة . وكانت إقامتنا في الجزيرة تطول وإن لم أكن أفكر كما لم تكن أريان تفكر إلا في السفر ، ولكن الشيء الذي كانت أريان تجهله هو أنني كنت مصمما على ألا أترك الجزيرة إلا ومعى فيدر . وكان بيريتوس يعلم ذلك . وهاك الحيلة التي أعانتني بها :

كان أكثر حرية مني ؛ فقد كانت أريان تأخذ على كل طريق ، وكان من أجل ذلك قد استطاع أن يدرس شؤون الجزيرة ويعرف من عاداتها ما كنت أجهل — قال لي ذات صباح :

— أظن أنني قد بلغت الغاية . تعلم أن هذين الحكيمين مينوس ورادامونت قد نظما أخلاق الجزيرة وسيرة

أهلها ، ونظما بنوع خاص شؤون هذا الحب البغيض الذي يعطف أهل الجزيرة على الغلمان كما ترى ذلك في ثقافتهم ، إلى حد أن كل فتى قد بلغ الحلم ، ولم يكن له خليل من الذين يكبرونه في السن يتعرض لكثير من الازدراء والضعفة ؛ لأنه إن كان رائع الجمال فيجب أن يكون فيه عيب يتصل بعقله أو جسمه ويصرف عنه الخلان . وقد أفضى إلى جلوكوس أصغر أبناء مينوس والذي يشبه فيدر حتى كأنه ضريبها بما يثير ذلك في نفسه من هم . وقد حاولت أن أغريه بأن لقب الإمارة الذي يحمله قد أربب الناس فلم يسم إليه منهم أحد ، فكان يجيني بأن هذا ممكن ، ولكنه محزن له ؛ ويجب أن يعلم الناس أن هذا يحزن مينوس نفسه ؛ لأن مينوس لا يحفل عادة بتفاوت الطبقات ولا باختلاف الدرجات ، ومع ذلك فقد يسره أن يرى أميراً ممتازاً مثلك يُعنى بابنه . وقد قدرت أن

أريان التي تغار من أختها أشد الغيرة لن تغار من أخيها؛
 فلم ير الناس امرأة تغار من غلام . وعلى كل حال فستري
 أن من غير اللائق أن تظهر شيئاً من الريبة ، فتستطيع أن
 تقدم في غير خوف .

صحت به :

— وهل تظن أن الخوف يقضى عن شيء ، ولكني
 وإن كنت يونانياً لا أسيغ مثل هذا الحب لغلام مهما
 يكن حظه من الجمال والظرف ، أختلف في ذلك عن
 هيرقل الذي أترك له في غير أسف خليله هيلاس (٦١) .
 ومهما يكن الشبه بين صاحبك جلو كوس وبين فيدر فأني
 أريدها هي لا هو .

قال :

— لم تفهم عني ، فلست أقترح عليك أن تستصحب
 جلو كوس مكان فيدر ، وإنما أعرض عليك أن تستصحب

فيدر مكان جلوكوس ، وآن تخدع أريان وتخدع الناس
 جميعا فتخيل إليهم أنك ستستصحب الفتى . اسمع وافهم
 عنى ، إن من العادات التى أقرها مينوس نفسه فى
 الجزيرة أن يستصحب الخليل فتاه ليعيش معه فى داره
 شهرين كاملين ، ثم يعلن الغلام بعد ذلك إلى الناس أنه
 راض عن خليله وعن سيرته معه . واستصحبك جلوكوس
 هذا الموهوم معناه أن تحمله إلى هذه السفينة التى جاءت
 بنا من بلاد اليونان ، فإذا اجتمعنا فى السفينة ومعنا
 فيدر مستخفية ومعنا أريان التى تحرص على مراقبتنا
 فأبحر بالسفينة مسرعا حتى تبعد عن الساحل . ولأهل
 أقریطش سفن كثيرة ولكنها أبطأ جريا من سفننا ،
 فإذا طلبونا فمن اليسير أن نفوتهم . تحدث فى هذا إلى
 مينوس وثق بأنه سيرضى عنه بشرط أن تقنعه بأنك
 ستستصحب جلوكوس لا فيدر ، فلن يحلم بخليل مؤدب

لجلوكوس خيرا منك . ولكن قل لي أو ائق أنت بأن
فيدر راضية بصحبتك ؟

— لست أدري إلى الآن ؛ فإن أريان مَعْنِيَّةٌ بالأخوة
أخلو إلى أختها بحيث لم أستطع أن أؤذنها بذلك . . .
ولكني واثق بأنها لن تتردد في صحبتي حين تعلم أنني
أؤثرها على أختها .

وكان يجب قبل كل شيء أن أهيب أريان نفسها لهذه
الخطوة ، فأفضيت إليها بالأمر مخادعا لما دبرنا .

فلم تكذب تسمع لي حتى صاحت :

— يا لها خطوة رائعة ! كم أنا سعيدة بالسفر مع أخي
الصغير . إنك لا تدري إلى أي حد أحبه وأؤثره لظرفه
وخفته . إنا متفقان دائما . وعلى ما بيننا من اختلاف
السن ، فهو آثر الرفاق إلي . ليس شيء أجدر أن يوسع
أفقه ويفتح عقله من إقامة في بلد أجنبي . سيتقن اليونانية

في أئينا ، وهو يتكلمها على نحو لا بأس به ، ولكنه
 يصطنع لهجة أجنبية سيصلحها في وقت قصير ، وستكون
 قدوة صالحة . وددت لو يحرص على أن يشبهك .
 وقد كنت أترك هذه البأسة تقول غير عالمة بما كان
 نجماً لها .

وكان من الواجب أيضا أن ننبه جلوكوس لنتقى
 كل خطر . وقد نهض بيريتوس بهذه المهمة ، وقد أنبأني
 بعد ذلك بأن الفتى أحس شيئا كثيرا من خيبة الأمل ؛
 فقد كان يؤثر بالطبع أن يسافر هو ، ولم يكن بد من إثارة
 حبه لأخته وعطفه عليها ليقبل الاشتراك في هذا التدبير .
 وكان يجب أن ننبه فيدر أيضا ؛ فقد كانت خليقة أن تصيح
 إذا اختطفت قسراً أو مكرا . ولكن بيريتوس اعتمد
 على أن الصبيين سيجدان في هذا التدبير ما يليهما ،
 فسيعبث جلوكوس بأبويه ، وستعبت فيدر بأختها .

وإذن فقد دخلت فيدر في الزى المؤلف لجلو كوس ،
 وكانت قامتها متعادلتين . فلما أخفت شعرها وستر
 أسفل وجهها لم يكن من الممكن أن تظن أريان
 للخدعة .

ومن المحقق أني كنت آلم لا اضطراري إلى خيانة
 مينوس الذي بالغ في الإحسان إلي . وقد تحدث إلي
 بما كان ينتظر من الأثر الحسن الذي ستركه صحبتي في
 نفس ابنه وقد كنت ضيفه ، فقد خفرت ذمة مضيبي
 ولكنني لم أحفل ، وليس من شأنى أن أحفل ، بهذا التردد
 الذي يبقيه وخز الضمير ، وكنت أوتر إرضاء رغباتي على
 الاعتراف بالجميل وعلى مراعاة اللياقة ، فكل شئ مباح
 ولا بد مما ليس منه بد .

وقد سبقتنا أريان إلى السفينة لتهيئ لنفسها فيها
 مكاناً ملائماً . ولم نكن ننتظر إلا فيدر لنسلم سفينتنا

الى الهرب . لم نختطفها حين أغلق الليل كما دبرنا أول الأمر ، بل بعد عشاء الأسرة التي حرصت على أن تشارك فيه ، ثم اعتلت بما ألفت من ترك الأسرة في أثر العشاء مقدرة أن أحداً لن يفتن لسفرها قبل أن يشرق النهار . وكذلك مضى كل شيء على ما كنا نهوى ، وكذلك سبغت إلى أتيكام مع فيدر بعد أيام . وبعد إن أنزلت أختها الجميلة المتعبة أريان في جزيرة ناكسوس (٦٢) .

وقد عرفت حين وصلت أرضنا أن إيحيه أبى لم يكدرى القلاع السود التي أهملت أن أضع مكانها القلاع البيض كما اتفقنا حتى ألقى نفسه في البحر ؛ وقد أشرت إلى ذلك آنفاً ولست أحب أن أعود إليه . وإنما أضيف أنى رأيت فيما يرى النائم أثناء الليلة الأخيرة أنى أصبحت ملكاً لأتيكا . . . ومهما يكن من شيء فقد كان هذا اليوم ، يوم عيد للشعب ولى ؛ لأننا عدنا فيه سالمين ،

ولأنني ارتقيت إلى العرش ، ويوم حداد لموت أبي . ومن
أجل ذلك أنشأت من الفور حفلات تتبادل فيها الجوقات
أغاني الحزن وأغاني الابتهاج . وحرصت مع أصحابي الذين
نجوا أن نشارك بالرقص في هذا الحفل . حزن وابتهاج !
كان من الملائم أن نمسك الشعب على هاتين العاطفتين
المتناقضتين .

وقد لامني اللأمون بعد ذلك في سيرى مع أريان ،
قالوا إني سرت معها سيرة الجبن ، ولم يكن يجمل بى أن
أدعها ، وأن أدعها في جزيرة بنوع خاص . سخف ؛ فقد
كنت حريصاً على أن أجعل البحر بينها وبينى ؛ فقد كانت
تتبعنى كما يتتبع الصائد صيده في إلحاح . ولما استكشفت
ما دبرت من مكر ، وعرفت أختها في زى جلوكوس نار
نارها ، وجعلت تدفع صيحات موقعة ، ووصفتنى
بالخيانة . فلما أثقلت على واضطرتنى إلى أن أنبأها بأنى
سأنزها في أول جزيرة تدفعنا إليها الريح التى أخذت

تثور ، أندرتني بقصيدة ستنشئها تصور فيها هذا الحجر
 الوضع . أجبته على الفور أنها لن تستطيع أن تصنع خيراً
 من هذه القصيدة التي ستكون رائعة من غير شك إن
 جاز أن أحكم بما كنت أرى من ثورتها ولهجتها الغنائية
 الصادقة ، وستكون هذه القصيدة معزية نسلها عن
 حزنها . ولكن كان كل ما كنت أقول لها يزيد ثورتها
 حدة والتهاباً . وكذلك شأن النساء حين يراد ردهن
 إلى العقل . أما أنا فأسلم نفسي دائماً لغريزة تدفعني
 السداجة إلى أن أثق بها

فقد دفعتنا الريح إلى جزيرة ناكسوس فتركتهما
 هناك ، وعلمت فيما بعد أن ديونيزوس لحق بها واتخذها
 لنفسه زوجاً . ولعل معنى ذلك أنها تسلت بالبحر . ويقال
 إن الإله قد أهدى إليها يوم الزفاف تاجاً من صنع
 ايفايستوس (٦٣) ، وإن هذا التاج يتلألاً الآن بين نجوم

سما ، وإن ذوس قد استقباهما في الأولمب ووهب لها
 الخلود . ويقال إنها شبيهت بأفروديت . وقد تركت
 مذاكله يشاع ، بل حرصت على أن أسكت الألسنة
 لثمة لي ، فبذات ما استطعت لتأليها ، واستحدثت لها
 سادة خاصة تكلفت أن أشارك فيها بالرقص . ومن الحق
 أنها ما كانت لتظفر بكل هذا الامتياز لو لم تلق مني هذا
 المجران .

وهناك أحداث منجولة غنيت بها الأساطير :
 كاختطاف هيلانة (٦٤) وهبوط بيريتوس إلى دار الموتى ،
 واستحياء روزرين (٦٥) . فلم أحاول أن أكذب
 ما أشيع حول أريان من مثل هذه الأساطير رغبة في أن
 بعد صوتي ويعظم خطري . بل لعل أضفت إلى هذه
 لأساطير أساطير أخرى لأمسك الشعب على الإيمان ،
 أمنعه من هذا الاستعداد للسخر من كل شيء ، كما يظهر

هذا واضحاً عند أهل أتيكا . فقد يكون من الخير أن يتحرر الشعب ، ولكن بشرط ألا يتخذ السخرية وسيلة إلى هذا التحرر .

والحق أنى منذ عدت إلى أتيكا احتفظت بالوفاء لفيدر . فقد تزوجت من المرأة ومن المدينة جميعاً . كنت زوجاً ، وانتقل إلى الملك من طريق الوراثة . وكنت أقول لنفسى : لقد انتهى عصر المغامرات ؛ فليس المهم الآن أن أفتح ، وإنما المهم أن أملك .

ولم يكن الملك شيئاً يسيراً ؛ فلم تكد أتيكا توجد في ذلك الوقت ، وإنما كانت أتيكا مجموعة من قرى صغيرة ينافس بعضها بعضاً في التفوق ، وينشأ عن هذا التنافس ألوان من الخصومات والغارات والصراع الذى لا ينتهى . فكان يجب أن أوحدها كله ، وأن أركز السلطان ؛ وهو شئ لم أظفر به إلا بعد مشقة وجهد بذلت في سبيله القوة والحيلة .

وكان أبى إيچيه يرى أن يثبت سلطانه باستبقا،
 الخلاف بين القرى . وقد لاحظت أن هناة المواطنين
 بضيعها الاختلاف ، وتبينت أن أكثر الشر إنما يأتى
 من تفاوت الثروة ، وحرص كل فرد على أن ينمى ثروته .
 ولم أكن أنا حريصا على الثراء ، وإنما كنت معنيا بالمصلحة
 العامة بمقدار عنايتى بمصلحتى ، بل أكثر من عنايتى
 بمصلحتى ، فقد أعطيت القدوة حين أخذت نفسى بحياة
 بسيطة ، ثم قسمت الأرض قسمة عدلا بين المواطنين ،
 فألغيت التنافس والتفوق وما ينشأ عنهما من الآثام .
 وكانت خطة قاسية أرضت الفقراء من غير شك
 وهم كثرة الناس ، ولكنها أسخطت الأغنياء لأنى
 نزعتم منهم بعض ما كانوا يملكون . وكان الأغنياء
 فليلين ولكنهم كانوا مهرة . وقد جمعت أجلهم خطرا
 وقلت لهم :

— إني لا احفل بشيء كما أحفل بالقيمة الفردية،
 ولا ألتفت إلى غيرها من المزايا . لقد عرفتم كيف تثرون
 بما لكم من مهارة ودراية بجمع الثروة وتنميتها، ولكنكم
 اتخذتم الجور والبغى سبيلا إلى الثراء في أكثر الأحيان .
 والخصومة التي تثور بينكم تعرض الدولة للخطر ، وأنا
 أريد أن تكون الدولة قوية بما من مما تكيدون . بهذا
 وحده تستطيع أن تنعم وأن تقاوم غارة العدو . إن هذا
 الطمع البغيض في المال الذي يغريكم لا يكفل لكم السعادة
 لأنه لا يرضى . فكأنها اكتسب الإنسان تمني أن يزداد
 كسبه . سأقص إذن ثروتكم بالقوة (التي أملكها)
 إذا لم تدعنوا لهذا راضين ، ولن أحتفظ لنفسى إلا بحماية
 القوانين وقيادة الجيش ، فأما ما دون ذلك فلا يعنيني .
 وأنا أريد أن أعيش بعد أن وليت الملك كما كنت أعيش
 قبل ذلك على حظ من المساواة مع أهون الناس شأننا .

وسأعرف كيف أفرض احترام القانون وكيف أفرض
احترامى إذا لم أفرض خوفاً . وأريد أن يقال من حولنا
إن أتينا تدير أمرها حكومة شعبية لا حكومة طاغية .
فكل مواطن سيستمتع بما يستمتع غيره به من الحقوق
السياسية ، لا عبرة بما يكون بينهم من اختلاف المولد .
فإذا لم تقبلوا ذلك عن رضا فقد أنبأتكم بأننى أستطيع أن
أحملكم عليه كرها .

سأهدم بل سأححو من الأرض محاكمكم الصغيرة
المحلية ، وسأهدم وأححو من الأرض مجالسكم
الإقليمية ، وسأجمع تحت الأكروپول ما أخذ الناس
يسمونه أثينا ، وقد وعدت الآلهة الذين سيعينوننى
بأن الأجيال المقبلة لن تعظم إلا اسماً واحداً هو اسم
أثينا . وسأحرر مدينتى لپلاس (٦٦) فأما الآن وقد
سمعتهم فأنصرفوا وأطيعوا .

ثم أضفت العمل إلى القول ، فنزلت عن مظاهر الملك
 ودخلت في الصف ، ولم أتهيب أن أظهر للناس جميعا بغير
 حرس شأني في ذلك شأن المواطنين جميعا . ولكنني
 كنت أعني دائما بالشؤون العامة محافظا على الوفاق مقرا
 للنظام .

وقد استمع بيريتوس لهذه الخطبة التي أقيمتها على
 السادة ، فقال لي إنها خطبة رائعة ، ولكنها سخيفة .
 وكان يعلل ذلك بأن المساواة بين الناس ليست طبيعية
 بل ليست شيئا يبتغى . فمن العدل أن يتفوق الأختيار على
 طعام الناس بما تخوّلهم الفضيلة من امتياز . وهؤلاء
 الطعام إذا لم تُثر بينهم التنافس والتراحم والغيرة ظلوا
 هامدين خامدين أشبه شيء بالماء الراكد الآسن ؛ فليس لهم
 بد من حافز إلى العمل . فاحذر ألا يدفعهم هذا الحافز
 إلى الثورة بك والانتفاض عليك . وسواء أردت أم لم

ترد فإن هذه التسوية الأولى التي تطمح إليها والتي تكفل للناس جميعاً تكافؤ الفرص ليسعوا إلى الحياة من مستوى واحد ، ستمتهدى قطعاً إلى الاختلاف والتفاوت ، فتنشأ طبقات تتأثر بما يمتاز الأفراد به من الكفاية وحسن البلاء ، ستنشأ طبقة العامة الشقية والأرستقراطية السعيدة .

قلت :

— إنى أقدر ذلك وأرجو أن يكون في وقت قريب ، ولكنى لا أدري لم تشقى العامة إذا كانت هذه الأرستقراطية الجديدة التي سأرعاها أرستقراطية العقل لا أرستقراطية المال .

ثم أردت أن يزداد حذر أئينا من الخطر والبأس ، فأعلنت أنها تتلقى في غير تمييز ولا تفريق كل من يقبل عليها ليقم فيها مهما يكن وطنه الأول ، وانطلق الدعاة من حول المدينة يصيحون : « أيها الشعوب ، هلم إلى أئينا » .

وقد ذاع ذلك حتى بلغ أبعد الآماد . أليس هذا هو
الذي حمل أوديب ذلك الملك المخلوع البائس على أن يسعى
إلى أتیکا يلتمس فيها الجوار والحماية ويموت فيها آخر
الأمم؟ ويتيح لي أن أكسب لهذه الأرض هذه البركة
التي كتبها الآلهة لمثواه الأخير . سأحدث عن هذا
الموضوع بعض الشيء .

وقد ضمنت للقادمين على أثينا نفس الحقوق التي
يستمتع بها المواطنون الأولون ، مؤجلا كل تفرقة إلى
ما يسفر عنه الاختبار . فالاختبار وحده هو الذي يميز
الخبث من الطيب . ولم أرد أن أحكم على أحد قبل أن
أبين بلاءه . بحيث لا أحقق تفرقة بين الآثينيين في الطبقة
والمترلة إلا لمصلحة النظام العام إذا اقتضت الضرورة
شيئاً من ذلك بعد الاختبار . وكذلك استحق الآثينيون
وحدهم بفضلي أنا اسم « الشعب » الذي أطلق عليهم

ولم يطلق إلا عليهم . هذا هو المجد الذي كسبته لنفسى
والذى يربى على كل ما شيدت قديماً من مأثرة ، وهو مجد
لم يباغعه هيرقل ولا چازون ولا بلليروفون ولا پرسيه .
ولم يتبعنى مع الأسف بيريتوس زميل الصبا . أما
الأبطال الذين سميتهم وأبطال آخرون من أمثال ميلياجر^(٦٧)
وييليه^(٦٨) فإنهم وقفوا عند ما أثرهم الأولى أو مأثرتهم
الأولى ولم يستطيعوا أن يتجاوزوها . ولم أرد أنا أن
أقف عند هذه المآثر ، وكنت أقول لپيريتوس : هناك
وقت لتحرير الأرض من الخوف الذى تثيره الوحوش ،
ووقت آخر لاستثمار هذه الأرض المحررة . وقت لتحرير
الناس من الخوف ، ووقت آخر لتمكينهم من الانتفاع
بهذا التحرير وما يتيح لهم من أمن وسعة . ولا سييل
إلى هذا إلا النظام الدقيق . ولست أقبل أن يقف الرجل
جهوده على نفسه كما يفعل البيوثيون^(٦٩) . ولا أن يجعل

السعادة الخاملة غايته التي يسعى إليها . وكنت أعتقد أن
 الإنسان ليس حرّاً وأنه لن يكون حرّاً ، وليس من
 الخير أن يكونه . ولكني لا أستطيع أن أدفعه إلى أمام
 دون رضا ، ولا أن أبلغ منه الرضا إلا إذا خيَّات إلى
 الشعب أنه حر . أردت أن أرتفع به ولم أقبل أن يظل
 راضياً بما قسم له حانياً رأسه من الذل . وكنت أرى أن
 الإنسانية تقدر على أكثر من هذا ، وهي أكرم من أن
 ترضى بهذا . وكنت أذكر ما ألقى إلى ديّال من العلم
 حين كان يزعم أن يورث الناس أسلاب الآلهة . وكانت
 قوتي تأتي من ثقتي بقدرة الإنسان على التقدم .

هنالك تخلف عنى پيريتوس ولم يتبعنى ، وكان قد
 رافقنى وأعاننى كثيراً أثناء الشباب ، ولكنى تبينت أن
 استبقاء الصداقة يقفنا عن السعى أو يردنا إلى وراء .
 هناك مواقف لا يستطيع الإنسان أن يتجاوزها

إلا وحيداً . وإذ كان پيريتوس راجح العقل فقد ظلمت
 أسمع لأحاديثه دون أن أزيد على ذلك شيئاً . وقد تقدمت
 به السن ، فجعل يترك حكمته تستنيم إلى القصد
 والاعتدال ، وهو الذى لم يكن يقنع بشيء . فلم تكن
 مشورته تهدف إلا إلى التحديد والتقيد فى كل شيء .
 وكان يقول :

— ليس الإنسان خليقاً أن نشغل به أنفسنا إلى
 هذا الحد .

وكنت أجيبه :

— وبماذا نشغل أنفسنا إذا لم نشغلها بالإنسان الذى
 لم يقل كلمته الأخيرة بعد ؟
 وكان يقول لى أيضاً :

— هوّن عليك . ألم تقدم بين يديك ما يكفى من
 لعمل ؟ الآن وقد ضمنت الرضاء والدعة لآئينا تستطيع

أن تستريح إلى المجد وإلى سعادة الزوجية .
 وكان يلح علىّ في أن اعني بفيدير ، ولم يكن
 مخطئاً في هذه النصيحة على الأقل . فقد يجب أن أقص
 الآن ما أصاب حياتي المنزلية من اضطراب ، وهذا
 الحداد البغيض الذي أدت به إلى الآلهة ثمن ما أتيج لي
 من نجاح وما اتصفت به من عُجب وتيه .

لقد كانت ثقتي بنيدر لا حد لها ، وكنت أراها تزداد
 جمالاً وظرفاً على مر الشهور . وكانت حياتها كلها نقاء
 وطمهراً . وكنت قد استنقذتها صبية من بيتها السيئة ؛
 فلم أقدر أنها استبقت من هذه البيئة بعض دواعي الشر .
 وليس من شك في أنها ورثت بعض خصال أمها ، وكان
 عتذارها فيما بعد بأنها غير مسؤولة ، وبأن القضاء قد
 سخرها لما أراد ، يقوم على بعض الحق . ولكن لم يكن
 هذا كل شيء . وأظن أنها كانت تسرف في ازدياد
 نفوذها . والآلهة ذوو انتقام ، فلم يغن عنها آخر الأمر

إلحاحها في ترضى الإلهة بالقربان والدعاء . فقد كانت فيدر
تقية . كما كانت أسرتها . ولكن كان مما يسوء أن جميع
أعضاء الأسرة لم يكونوا يخلصون لإلهه بعينه ، فقد كانت
باسيفاييه مخلصه لذوس ، وكانت أريان مخلصه لديونيسوس .
أما أنا فكنت أعبد پلاس أتينييه وأعبد پوسيدون الذى
تجمعنى به صلة خفية ، والذى كان قد أخذ نفسه لشقائى
بأن يستجيب لى حتى لم أدعه عبثاً فى يوم من الأيام . أما
ابنى الذى ولدته لى الأمازون والذى كنت أوثره أشد
الايثار ، فقد كان يعبد أرتيميس إلهة الصيد . وكان عفواً
مثلها بمقدار ما كنت أنا فاجراً فى سنه . وكان يتتبع
الأدغال والغابات عارياً تحت ضوء القمر ، ويتجنب القصر
ومجالس الحكم ولقاء النساء خاصة . ولم يكن يرضى عن
نفسه إلا بين كلاب صيده ، يتتبع بهن إلى أعلى قمم الجبال
وفى أسفل الأودية والوهاد هرب الوحوش . وكثيراً

ما كان يروض الخيل الجامعة يجريهن على رمال الساحل
 ليقحمهن أمواج البحر . ما كان أشد حبي له في أطواره
 تلك ! فقد كان رائعاً ألياً متمرداً إلا علىّ بالطبع ؛ فقد
 كان يؤثرني بالأجبار والإجلال ، ولكن على الأوضاع
 التي تحد من سلطان الإنسان وتقل من عزمه . لقد كنت
 أريد أن أختصه بولاية عهدي ، وكنت خليقاً أن أنام
 هادئاً مطمئناً بعد أن أسلم أعنة الدولة إلى يديه النقيتين ؛
 فقد كنت أعرف فيه الامتناع على الرغبة والرغبة جميعاً .
 ولم أقدر إلا بعد فوات الوقت أن من الممكن أن
 تصبو إليه نفس فيدر . وكان يجب علىّ أن أقدر ذلك ؛
 فقد كان يشبهني حين كنت في سنه . وقد كانت الشيخوخة
 تسرع إلىّ على حين كانت فيدر تحتفظ بشباب غريب .
 ولعلها كانت لا تزال تحبني ولكن كما يحب الآباء . وقد
 تعلمت على حساب نفسي أن ليس من الخير أن تبعد آماذ

السن بين الزوجين . ومن أجل ذلك لا ألوم فيدر في هذا الحب الذي لا يخالف قوانين الطبيعة وإن لم يخل من بعض الإثم ، وإنما ألومها ولا أغفر لها أنها حين تبينت ألا سبيل إلى إرضاء هذا الحب اتهمت هيپوليت هذا الابن النقي الوفي بشهوتها الآثمة المنكرة . وقد كنت أباً غافلاً ، وزوجاً واثقاً ، فصدقتها . وللحرة الوحيدة التي وثقت فيها بقول امرأة ، ضللت السبيل فاستزلت سخط الإله على ابني البريء . وقد استجاب الإله لدعائي والناس يدعون الآلهة ولكنهم يجهلون أن الآلهة يستجيبون لهم في أكثر الأحيان فيشقونهم ، وكذلك رأيتني قد خضعت لإرادة مفاجئة جامحة ضالة فقتلت ابني ، وما زلت لذلك جزعا لا أجد سبيلا إلى العزاء . وقد أحسنت فيدر حين تبينت جريمتها فقضت على نفسها الموت . ولكني الآن وقد فقدت حتى مودة

بيريتوس أصبحت وحيداً وقد أدركتني الشيخوخة .
 وقد تلمقت أوديب منفيًا من وطنه ثيباً قد فقد
 عينيه وبدا عليه الضر ، ولكنه على الأقل لم يكن وحيداً
 وإنما كان بين ابنتيه يحمل إليه حنانهما ما يخفف من لوعة
 أساه . لقد كتب عليه الإخفاق في كل ما حاول ، وكتب
 لي النجاح في كل ما حاولت حتى إن البركة التي قضاها
 الآلهة للارض التي تضم جثته بعد موته لم تتح لوطنه
 ثيبا ، وإنما أتحت لآثينا .

وإنه ليدهشني ألا يتحدث الناس إلا قليلا عن التقائنا
 في كولونا (٧٠) ، وعن هذه المواجهة بين مصيرينا في آخر
 الشوط الذي كتب لكل واحد منا أن يقطعه . مع أنني
 أنا أرى في هذا اللقاء قمة ما أثلت لنفسي من مجد ، وتوحيجا
 لما قدّمت بين يديّ من عمل . لقد أملت كل شيء ورأيت
 كل شيء يميل إلى (إذا استثنيت ديدال ولكنه كان

يكبرني جداً . ومع ذلك فقد خضع لي ديدال ، نفسه .)
 وكنت أرى عند أوديب وحده عزة تلائم عزتي ، ولم
 تكن المحن التي ألمت به إلا لترفع في نفسى مكانة هذا
 المنهزم . لقد انتصرت من غير شك في كل مكان وفي كل
 وقت ، ولكن في مستوى إنسانى متواضع إذا قيس إلى
 أوديب . أما هو فقد قهر أبا الهول ، وأقام الإنسان أمام
 اللغز ، واستطاع أن يقفه بازاء الآلهة . وإذن فكيف
 ولماذا قبل الهزيمة ؟ بل ألم يشارك في تحقيق هذه الهزيمة
 حين فقأ عينيه ! لقد كان في هذه الجناية التي جناها على
 نفسه شيء لم أكن أستطيع فهمه . وقد أظهرته على ما أجد
 من دهش ، ولكن تعليله لم يكده يقنعنى . ذلك شيء يجب
 أن أعترف به ، ولعلى لم أحسن الفهم عنه .

قال لى :

— من الحق أنى أستجبت لثورة جامعة من

الغضب ، لم أكن أستطيع أن أوجهها إلا إلى نفسي ، فعلى من كنت أستطيع أن أثور ؟ لقد رأيت هول هذه التهم المنكرة التي ظهرت لي ، فلم أجد بداً من أن أنكر وأحتج . ومع ذلك فلم أكن أريد أن أفقأ عيني بمقدار ما كنت أريد أن أشق هذا المنظر الذي يملؤه الكذب والذي فقدت الإيمان به والذي كنت أضطرب بين مظاهره ، بل لم أكن أفكر في شيء وإنما دفعتني إلى ما عملت . فقأت عيني عقاباً لهما على أنهما لم تريا شيئاً كان من الواضح والبداهة بحيث كان خليقاً أن يفقأ عيني ، كما يقال لست أدري كيف أبين لك عن ذلك فلم يفهم أحد تلك الصيحة التي بعثتها يومئذ : « إلى آيتها الظلمة . أنت ضوئي » . وأشعر أنك أنت أيضاً لا تفهم هذه الصيحة . لقد سمع الناس من هذه الصيحة شكاة ، مع أنها لم تكن إلا ملاحظة للحقيقة الواقعة . كانت هذه الصيحة تعني

أن الظلمة قد بددها بالقياس إلى ضوء خارق للطبيعة يغمر
عالم النفوس . وكانت هذه الصيحة تعني : أيتها الظلمة
ستكونين منذ الآن ضوئي . وفي الوقت الذي كانت
الظلمة فيه تحجب عن عيني جمال السماء كانت سماء أخرى
داخلية قد أخذت تتألق فيها النجوم .

ثم سكت ولبث لحظة مغرقاً في تفكير عميق ،
ثم قال :

— لقد كانت تظن بي الفطنة أثناء الشباب . وكنت
أرى تقسى فظناً . ألم أكن أول من أجاب ! بل ألم
أكن الوحيد الذي أجاب على سؤال أبي الهول ! ولكن
يخيل إليّ أني لم آخذ في النظر الصادق الصحيح إلا منذ
فقات عيني ييدي وحلت بينهما وبين الضوء . أجل !
في الوقت الذي يحجب فيه العالم الخارجي عن عيني
إلى آخر الدهر تتاح لضميري نظرة جديدة إلى

عالم داخلي كان العالم الخارجي يشغلني عنه ويحملني
على ازدراءه .

وهذا العالم الذي لا يحس والذي لا تستطيع حواسنا
أن تطمع في بلوغه ، هو فيما أعلم الآن وحده الحق . فأما
ما عداه فوهم يخدعنا ويصدنا عن مشاهدة العالم الإلهي
« يجب أن ننصرف عن رؤية العالم لنرى الإله » . كذلك
كان يقول لي ذات يوم ذلك الحكيم الضير تير سياس
ولم أكن أفهم عنه حينئذ كما أرى الآن يا ثيسوس أنك
لا تفهم عني .

قلت :

— لا أحاول أن أنكر خطر هذا العالم الذي
تستكشفه منذ فقدت عينيك ، ولكن الذي لا أفهمه
هو أنك تجعل هذا العالم ضداً معانداً للعالم الذي نراه
ونعيش ونعمل فيه .

أجاب :

— ذلك أن نظرة الضمير هذه أظهرتني لأول مرة على ما لم أكن أرى ، فافتنعت بهذا الذي ستسمعه . لقد أقمت ملكي الإنسانى على جريمة فنشأ عن ذلك أن أصبح كل ما أتيت به بعد الملك ملوثاً ، لا بالقياس إلى ما صدر عنى أنا من قول أو عمل فحسب ، بل كذلك بالقياس إلى ابنيّ اللذين تركت لهما التاج : فقد تركت من انمور ذلك الملك المخزي الذي ساقته إلىّ الجريمة . وأنت تستطيع أن تعرف إلى أي جريمة جديدة دفع ابناى وأى قضاء مهين مخز قد ألحّ على كل ما تلد الإنسانية الخاطئة . وليس ابناى إلا مثلاً صارخاً لهذه المحنة ؛ فهما ثمرة الإثم ، وهما من أجل ذلك أشد ملاءمة لهذه المحنة . ولكن يخيل إلىّ أن هناك إثماً مستأصلاً قد شقيت به الإنسانية ولن ينجو من آثاره أحد حتى الأخير ، إلا

أن تنال الإنسانية رحمة تغسل عنها هذا الوضـر .
ثم ماد إلى الصمت لحظات كأنه كان يريد أن يعن في
التفكير إلى أبعد مما بلغ ، ثم قال :

— إنك تدهش لأنى فقأت عينيّ ، وأنا أيضاً دهش .
ولكن لعل في هذا العمل الأحمق القاسى شيئاً آخر هو
هذه الحاجة الخفية إلى أن أدفع حظى إلى غايته ، وأبلغ
بألمى أبعد أماده وأتم بذلك مصيراً من مصاير الأبطال .
ولعلى أحسست في غير وضوح ما فى الألم من جلال وتطهير
للنفوس يكره البطل أن يمتنع عليه . وأعتقد أن هذا هو
الذى يثبت عظمته ، وأنه لا يرقى إلى العظمة حقاً إلا حين
يسقط ضحية ، فيكره بذلك الآلهة على أن يعرفوه ،
ويتزع من أيديهم سلاح الانتقام . ومهما يكن من
شئ فإن خطاياى وآثامى مهما تبلغ من الشناعة
والبشاعة ، لا تمنعنى الآن من أن أجد سعادة داخلية

رائعة تكافئ كل مالقيت من ألم وما شقيت به من بؤس.

قلت حين رأيت أنه أتم حديثه :

— أيها العزيز أوديب ، لا يسعني إلا أن أثنى على هذه

الحكمة التي تصطنعها والتي تتجاوز طاقة الإنسان .

ولكن تفكيرى لا يستطيع أن يرافق تفكيرك في هذه

الطريق . فأنا ابن هذه الأرض ، وسأبقى ابنها ، وأرى

أن الإنسان كائناً من يكون ومهما يكن حظه من هذا

الإثم المستأصل الذى تشير إليه ، يجب أن يلعب بالورق

الذى أتيح له في هذه الدنيا . وأكبر الظن أنك قد أحسنت

الانتفاع بما كتب عليك من البؤس . ولعلك قد أمعنت

في ذلك حتى أتيح لك الاتصال بهذا الذى تسميه الإله ،

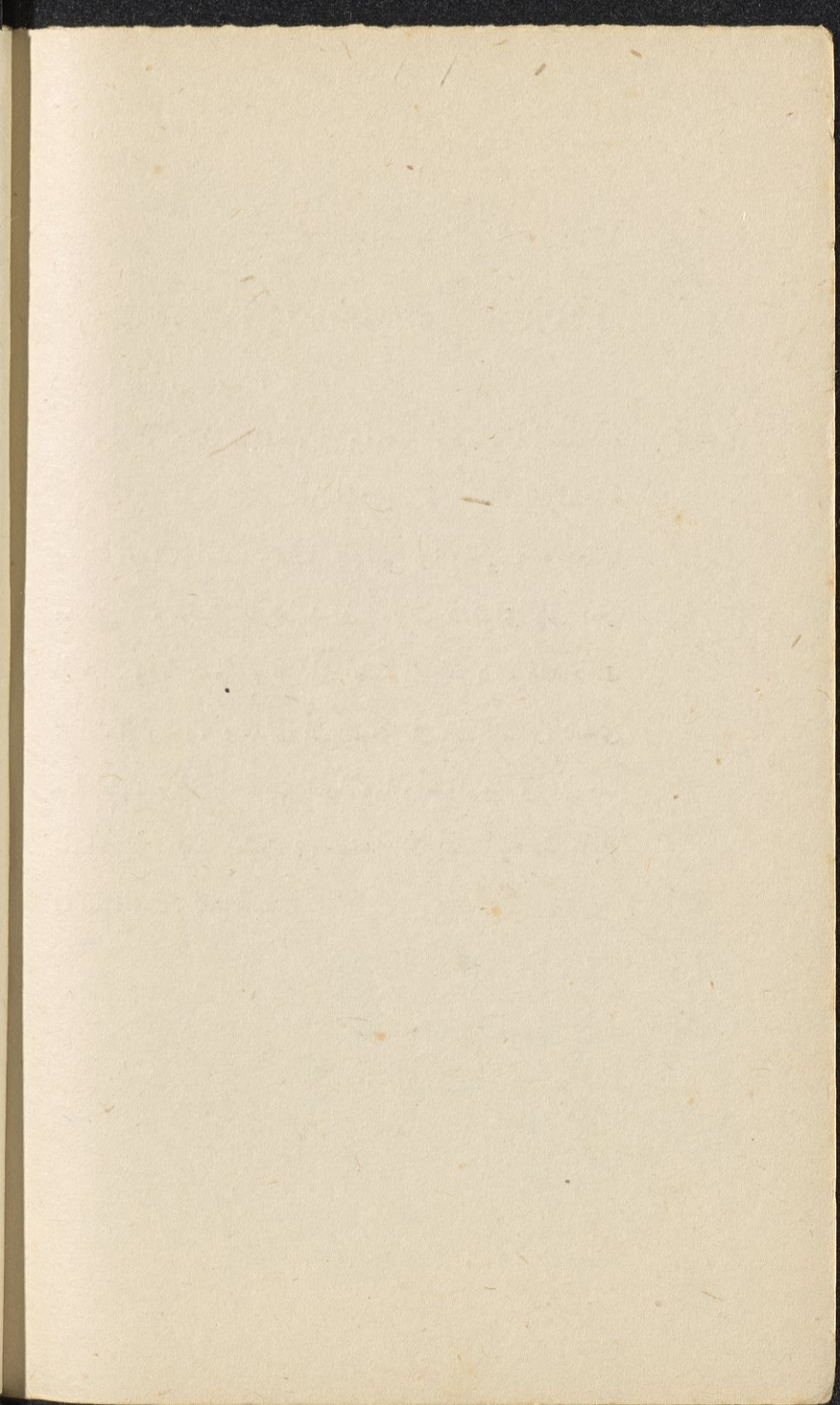
بل أنا أعتقد أن نوعاً من البركة يتصل بك ، ويحل كما يقال

في الأرض التي تضم جثتك بعد الموت .

ولم أضف أن الذى كان يعنينى هو أن تكون هذه

الأرض أرض أتيكا، وكنت أهني نفسي بأن الآلهة قد
أهدوا إلي ثمرة ثيبا .

وإذا وازنت بين مصيري ومصير أوديب فأنا سعيد،
لأنني أديت ما كان يجب أن أؤدي . فأنا أترك للإنسانية
مدينة أثينا . لقد آثرتها على ابني وزوجي ، وجعلتها
مدينتي . وستسكنها بعد أن أموت ذكراي إلى آخر
الدهر . وأنا أسعى وحيداً راضياً إلى الموت . فقد ذقت
ثمرات الأرض . ويلد لي أن أفكر في أن الناس بعدي
وبفضلي سيرون أنفسهم خيراً منا وأسعد منا وأدنى منا
إلى الحرية . لقد أبليت في خدمة الإنسانية المستقبلية
ما استطعت . لقد حميت .



ملحق

(١) يتسو : هو الاسم القديم لدلف أخذ من اسم الثعبان بيتون الذي قتله أبولون قريبا من المكان الذي أقيم فيه معبده .

(٢) كدموس : منشئ مدينة ثيبا يقال إنه ابن ملك فينيقي عبر البحر باحثا عن أخته التي اختطفها دوس . فلما وصل إلى مكان ثيبا وجد ثينينا خطرا فقتله ونثر أسنانه في الأرض فنشأ منها رجال مسلحون هم بناء المدينة وأصل أهلها .

(٣) ليكوس : ملك من ملوك الأساطير كان صديقا لهرقل .

(٤) امفيون : بطل من أبطال اليونان ولد من صلة بين دوس وأنتيوب وأهدى إليه أبولون ربابة من ذهب وقد ملك ثيبا وأقام أسوارها . كان يوقع على ربابته فتسابق الأحجار إلى أماكنها من هذه الأسوار .

(٥) البرناس : جبل يوناني قريب من دلف يرمز به إلى الشعر
والفن لمكانه من معبد أبولون .

(٦) هيبوليت : ابن ثيسوس من زوجه انتيوب ملكة
الأمازون .

(٧) بات : إله يوناني للمراعى والتطعان اخترع المزمارة له
قرن المعز وأرجله وفي يده محجر .

(٨) ذوس : أبو الآلهة وعظيمهم وملك الآلهة والناس إليه
تصريف شؤون الكون كله بقوته القاهرة
وحكمته الحفوية وهو مع ذلك لا يفلت من سلطان
القضاء .

(٩) تيتيس : إلهة من آلهة البحر تزوجت ملكا يونانيا
هو بيليه ، فولدت له أخيل أعظم أبطال اليونان
خطراً .

(١٠) بوسيدون : إله البحر وهو أخو دوس وهو خالق الحيل
وهو مجمع العواصف ومفرقها .

(١١) إيجيه : ملك أمينا وهو أبو ثيسوس على ما ترى حول
هذه الأبوة من كلام في القصة التي كتبها
أندريه جيد وفي حياة العظماء التي كتبها
پلوتارك .

(١٢) افروديت : هي الزهرة أو فينوس باللاتينية ، وهي إلهة
الجمال والحب نشأت من زبد البحر .

(١٣) اقريطش : جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط لها
مكاتها الممتازة في الحضارة الايجية التي سبقت
حضارة اليونان .

(١٤) ميديه : ساحرة خطفها جازون من كولشيد - في القوقاز -
فلما تركها أثارها الغيظ ، فدبحت بنيتها ثم
اتتت إلى أمينا فتزوجها ملكها ايجيه وهمت
بأن تسم ابنه ثيسوس فلم تفلح وطردها
الاينيون .

(١٥) جورجونى : وحوش غريبة مروعة مؤنثة وكن ثلاثا بمسخن
من ينظر إليهن حجرا .

(١٦) بليروفون : بطل من أبطال كورنت أحبته ملكة أرجوس ولم تجد عنده لها صدى . فزعمت لزوجها أنه أراد بها السوء . هنالك كلفه ملك أرجوس مغامرات كثيرة خطيرة خرج منها ظافرا .

(١٧) بيربتييس : قاطع طريق مشهور وهو ابن ايفايستوس .

(١٨) اييدور : اسم لمدن ثلاث يونانية أشهرها في الجنوب الشرق لليونان قريبا من أرجوس .

(١٩) برومثيروس : مارد سرق النار من الآلهة وأهداها إلى الناس فعلمهم الحضارة ، وعاقبه كبير الآلهة على ذلك فشدته إلى صخرة في القوقاز وسلط عليه نسا ينهش من كبده التي لا تكاد تنفى حتى تتجدد وما زال كذلك حتى أنقذه ميرقل .

(٢٠) بيريتوس : صديق ثيسوس ورفيقه في مغامراته الكثيرة ، هبط معه إلى دار الموتى لانتقاذ برسيفونية فلم يعد .

(٢١) هيرقل : بطل اليونان الأكبر ، ولد من صلة بين كبير الآلهة وبين الكمين من أهل ثيبا وعرف بمغامراته الاثنى عشرة وهو الذى أتقذ ثيسوس من دار الموتى حين هبط إليها مع بيريتوس ، أهدت إليه زوجه قيصا مسموما قدرت أنه سيرده إليها فأذاقه الموت .

(٢٢) أمغال : ملكة ليديا ، شغف حبها قلب هيرقل فأذله حتى اتخذ المنزل بين يديها كما تصنع النساء .

(٢٣) انتيوب : ملكة الأمازون تزوجها ثيسوس فولدت له ابنه هيوليت .

(٢٤) الأمازون : شعب من النساء المحاربات كان يعيش على ساحل البحر الأسود غزاه هيرقل وبليروفون وثيسوس الذى تزوج ملكته .

(٢٥) بيتيه : ملك يونانى قديم كان يعرف بالحكمة وهو جد ثيسوس لأمه .

(٢٦) تريزين : مدينة في الشرق الجنوبي لبلاد اليونان كان يملك عليها بيتيه وفيها ولد حفيده ثيسوس .

(٢٧) بيلوپونيز : هو شبه الجزيرة الذي تنتهي به بلاد اليونان جنوبا ويعرف الآن باسم مورا وهو يتخذ اسمه القديم من بيلوبس الذي فتحه .

(٢٨) سينيوس : قاطع طريق مشهور يقال إنه من ولد پوسيدون قتله ثيسوس .

(٢٩) بروكروست : قاطع طريق مشهور في آتيكا قهره ثيسوس .

(٣٠) چيريون : مارد ذو رؤس ثلاثة وأجسام ثلاثة قهره هيرقل وساق قطعانه .

(٣١) سيرسيون : قاطع طريق من ولد پوسيدون قتله ثيسوس .

(٣٢) سيرون : قاطع طريق في برزخ كورنت قتله ثيسوس .

(٣٣) بيريجون : بنت المارد سينيوس منحت ثيسوس أحد آبنائه .

(٣٤) ميناليب : هو الابن الذي ولدته بيريجون لثيسوس .

(٣٥) ميتوس : أول ملوك أقریطش وهو زوج باسيفائية وأبو أريان وفيدر . ويقال إن الآلهة اختاروه قاضياً في دار الموتى .

(٣٦) أندروجيه : ابن مينوس ملك أقریطش وزوجه باسيفائية .

(٣٧) المنيوتور : كائن غريب فيه ملامح الانسان والثور ولدته باسيفائية ملكة أقریطش حين أحبت ثورها الأبيض . وقد قتله ثيسوس .

(٣٨) باسيفائية : زوج مينوس ملك أقریطش أحبت ثوراً أبيض فولدت له المنيوتور الذي حبسه زوجها مينوس في اللابيرنت .

(٣٩) أمنيوسوس : نهر في جزيرة أقریطش ؛

(٤٠) كنيوسوس : مدينة في أقریطش كانت عاصمة للملك مينوس .

(٤١) ألكيون : طائر خرافي من طير البحر .

(٤٢) ليتوس : مدينة في أقریطش .

(٤٣) جور-تين : مدينة في أقریطش .

(٤٤) رادامت : هو أخو مينوس ملك اقریطش ، ولد جيما لدوس من عشيقته الفنيقية أوروب . وكلاهما كان مشرعا في حياته وقاضيا بعد موته .

(٤٥) ديدال : مهندس ومثال أثيني بنى اللايرنت لمينوس .

(٤٦) اريان : هي ابنة مينوس وباسيفائية أحبت ثيسوس فأنتدته بخيوطها من اللايرنت وفرت معه ولكنه تركها في بعض الطريق .

(٤٧) فيدر : هي أخت اريان تزوجها ثيسوس فأحبت ابنه الشاب هيپوليت ولم تجد عنده صدى لحبها ، فاتهمته عند أبيه وكان ذلك سبباً لموته . ثم أخذها الندم فقتلت نفسها .

(٤٨) جالوكوس : ابن مينوس وباسيفائية .

(٤٩) ليدا : زوج تندار ملك اسبرتا أحبها ذوس فولدت ابنتها كستور وپولوكس وابنتها هيلانه التي سببت حرب طروادة وكليتمنستر التي قتلت زوجها أجاممنون .

(٥٠) أوروبا : بنت اچينور ملك فينيقيا أحبها دوس واختطفها فولدت له مينوس ملك أقریطش وأخاه رادامت

(٥١) اللابيرنت : قصر بناه ديدال لينوس ملك أقریطش وفيه كان سجن المنيوتور ومن خصائصه أن من دخله لا يستطيع أن يجد منه مخرجا .

(٥٢) إيكار : ابن ديدال حاول أن يطير بجناحين من ريش وشمع ، فأذابت الشمس جناحيه فهوى ومات .

(٥٣) تالوس : كان قريبا لديدال ومن تلاميذه .

(٥٤) موريس : بحيرة كانت في الفيوم يقال الآن إن بحيرة قارون من بقاياها .

(٥٥) أوريون : مارد هائل كان مولعا بالصيد ودفنه الغرور إلى مباراة إلهة الصيد أرتيميس التي تقمت منه فسلطت عليه عقربا لدغته فمات . ثم جعله الآلهة نجما من نجوم السماء .

(٥٦) تتال : ملك من ملوك ليديا أسرف على نفسه في الغرور
وسخر من الآلهة ، فقدم إليهم في بعض الولائم لحم
ابنه . وقد غضب عليه ذوس فأرسله إلى الجحيم
وقضى عليه أن يشتهي دائماً ولا يجد لشهوته
شفاء على قرب الشفاء منه . فالتمر في تناول
يده ولكنه لا يبلغه ، والماء قريب من شقيقه
ولكنه لا يذوقه .

(٧) سيزيف : بطل من أبطال اليونان أنشأ مدينة كورنت ،
وكان حكيماً ماكرًا داهية عائد الآلهة وسخر منهم
وقيد الموت حتى ضجج منه الآلهة أنفسهم ، ثم قهروه
آخر الأمر وقضوا عليه أن ينفق الدهر كله في
دفع صخرة من أسفل الجبل إلى قمته . ولكن
صخرته لا تنفك تهوى إلى القاع كلما أوشكت أن
تبلغ القمة .

(٥٨) چازون : بطل من أبطال اليونان غامر مع جماعة من أتريابه
في طلب الجزة الذهبية وقتل حارسها وهو تين
عظيم الشركان يلفظ النار من فمه .

(٥٩) پرسيه : بطل من أبطال اليونان ولدته دنائيه حين أحبا
ذوس وتمثل لها مطرا من ذهب .

(٦٠) سنتور : كائنات غربية قوية كانت لها ملامح الانسان والفرس وكانت بينها وبين الآلهة والأبطال صلوات وخطوب .

(٦١) هيلاس . كان صديقاً شاباً لهرقل رافقه في بعض مغامراته ومات في إحدى هذه المغامرات ، فلم يتعز عنه هرقل .

(٦٢) ناكسوس : جزيرة في بحر ايجيه ترك فيها ثيسيوس صاحبتة اريان .

(٦٣) ايفايستوس : إله الحديد والنار وهو ابن ذوس أحفظ أباه ذات يوم فقذف به من أعلى الأولمب إلى الأرض فهو يعرج دائماً .

(٦٤) هيلانة : بنت ذوس ولدتها له ليذا وقد فتن بها أبطال اليونان فخطفها ثيسيوس ثم ردها أخواها ، ولكن باريس خطفها بعد ذلك إلى طرواده . فكانت سبباً في الحرب المشهورة .

(٦٥) پروزرين : بنت ديمتر إلهة الأرض والحصب خطفها كبير آلهة الجحيم واتخذها لنفسه زوجاً .

(٦٦) بلاس : اسم من أسماء آلهة أثينا حامية مدينة أثينا .

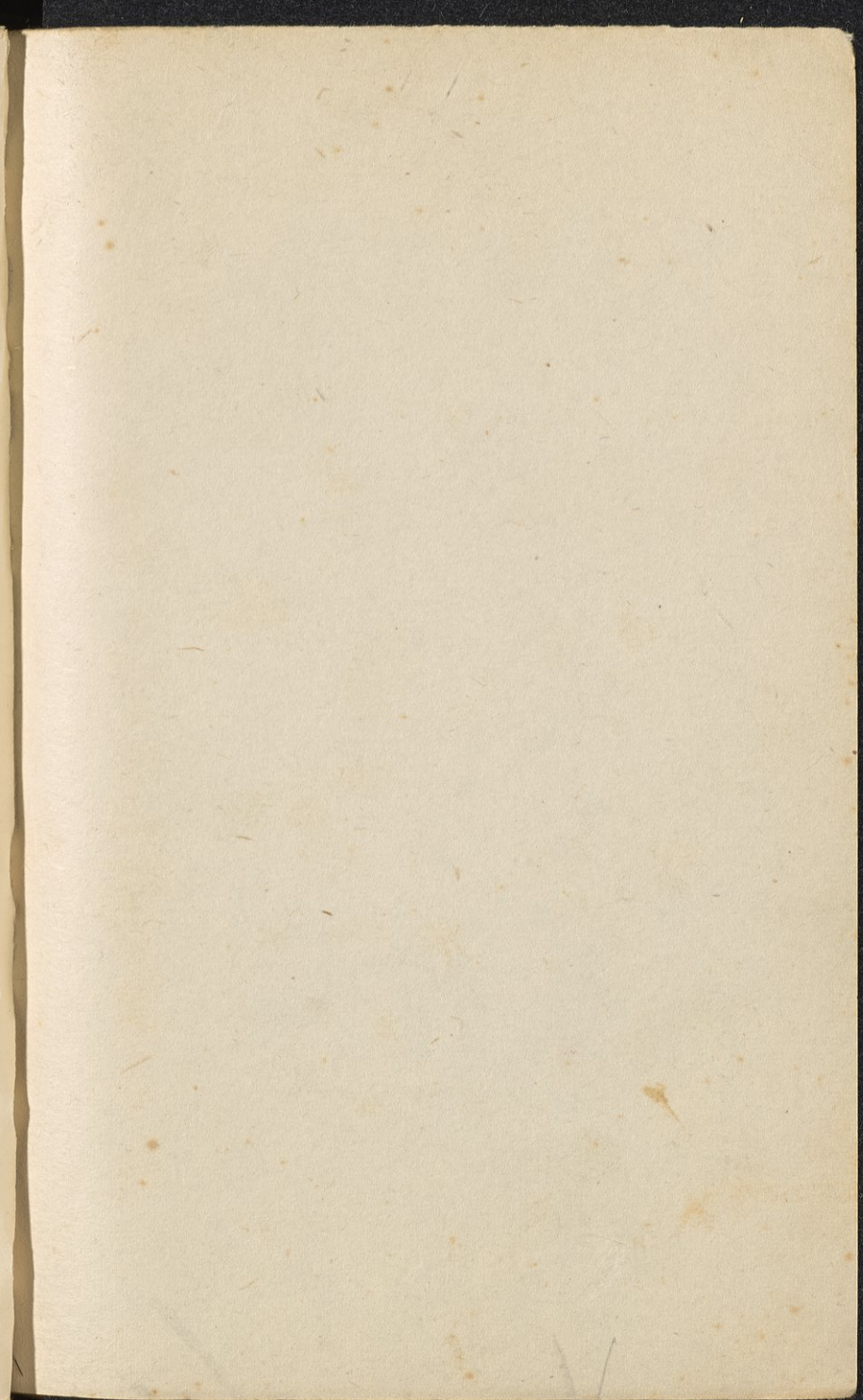
(٦٧) ميلياجر : بطل يوناني علمت أمه أنه سيموت إذا التهمت النار عودا كان في الموقد حين ولادته . فلما ولد أخذت أمه هذا العود فأطفأته واحتفظت به فعاش ابنها حتى شارك في مغامرات كثيرة خطيرة . ولكنه أحفظ أمه حين قتل أخويها فألقت العود في النار ولم يكده يحترق حتى مات البطل .

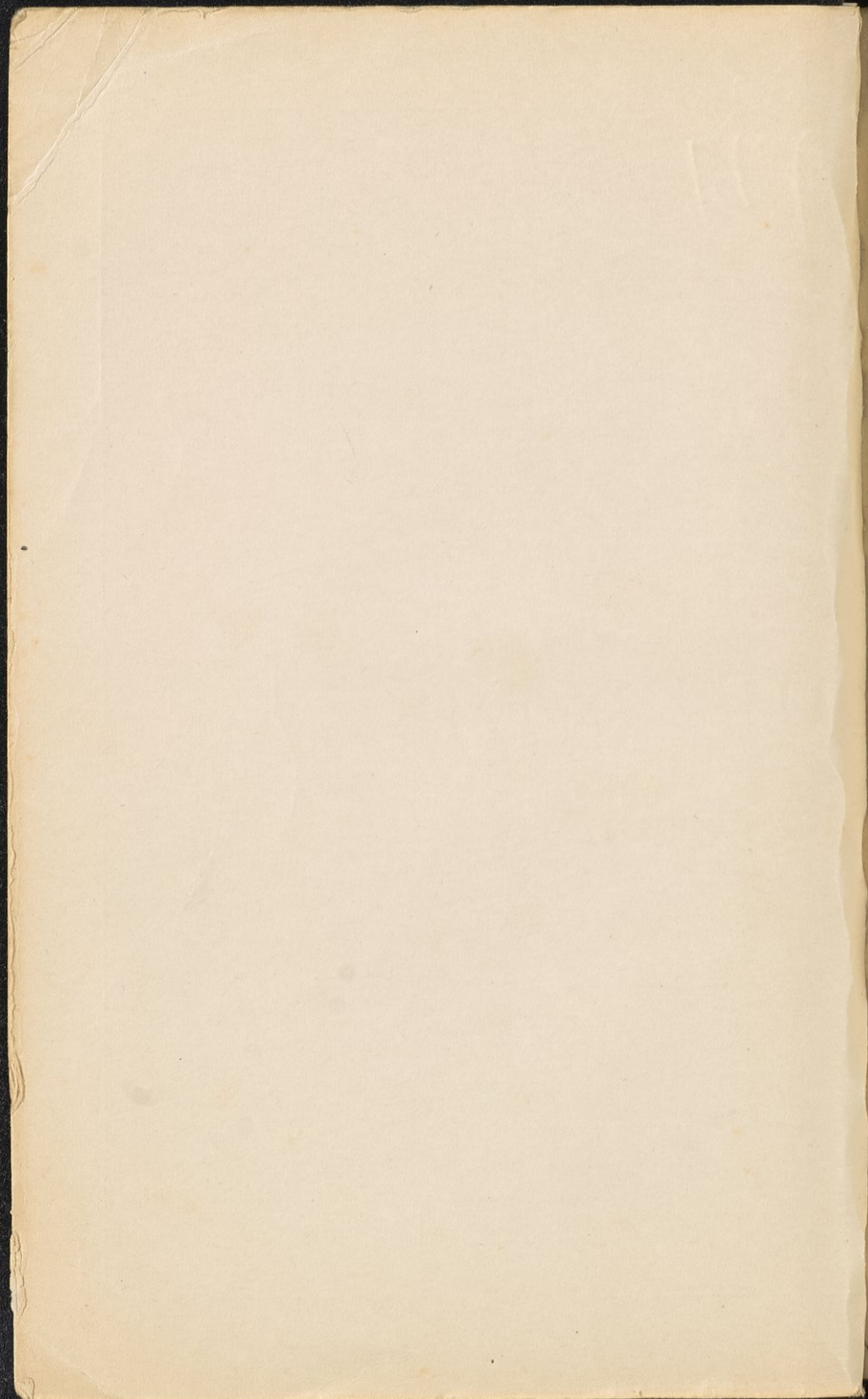
(٦٨) بيليه : أبو أخيل بطل الألياذة وقد ولد له من زوجته الاله تيتيس .

(٦٩) البيوثيون : سكان في بلاد اليونان الوسطى قاعدتها ثيبا وكان اليونان يضربون بهم المثل في اكتنائهم بحياة الرضاء والنباء .

(٧٠) كولونا : ضاحية من ضواحي أثينا .

مطبعة الكتاب المصري شركة مساهمة مصرية





دار الكاتب المصري

شركة مساهمة مصرية

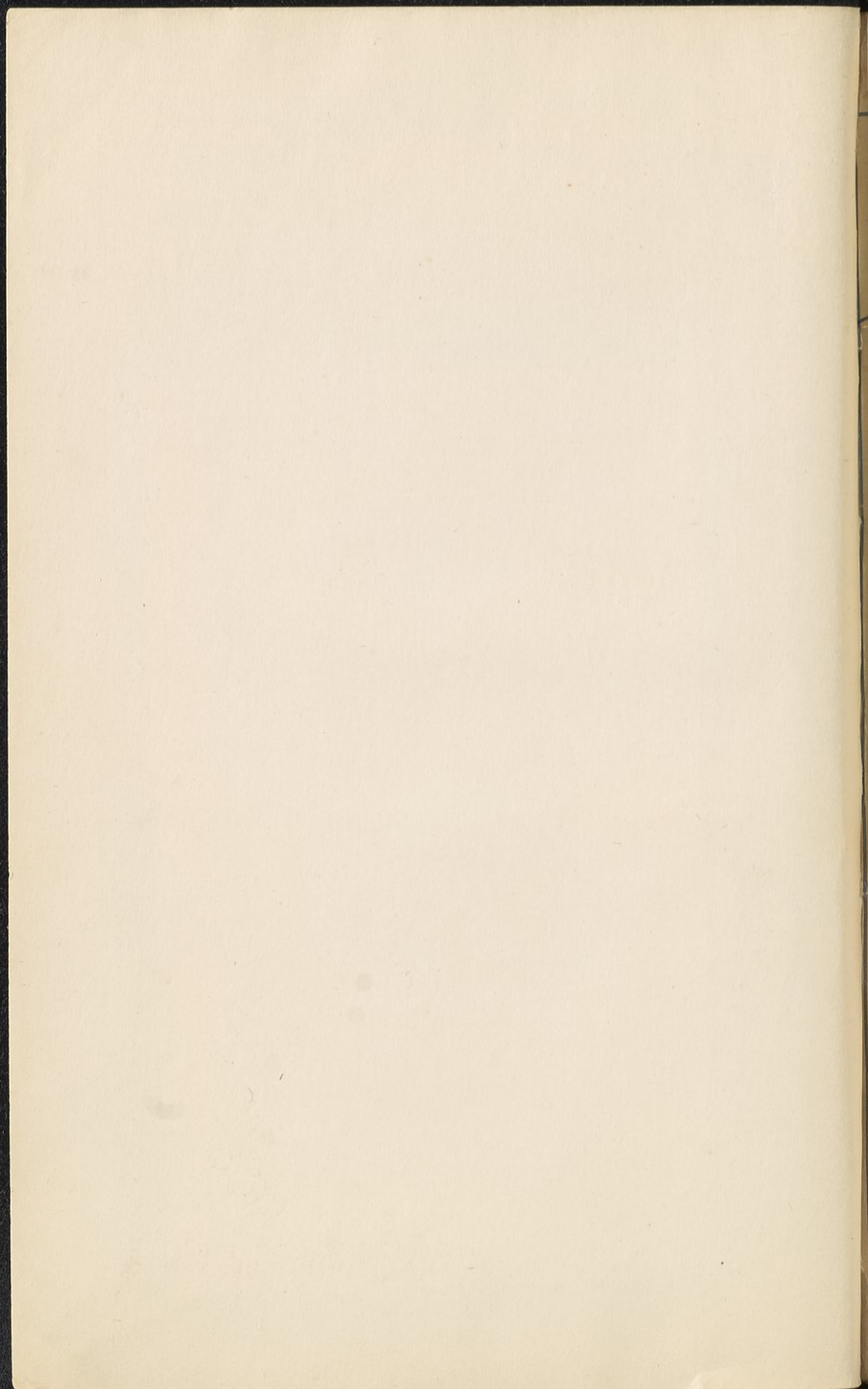
أصدرت بإشراف الدكتور طه حسين بك

- موريس بارس ... جنة على نهر العاصي
 (تعريب محمد عبد الحميد عنبر وعبد الحميد عابدين)
- إيثان ترجينيف ... الحب الأول (تعريب محمود عبد المنعم مراد)
- أندريه جيد ... أوديب - ثيسبوس (ترجمة طه حسين)
- أندريه جيد ... الباب الضيق (تعريب نزيه الحكيم)
- مع رسالة من أندريه جيد إلى المترجم ورد طه حسين إلى أندريه جيد
 فيدور دستويشكي . المقامر (تعريب شكرى محمد عباد)
- ليون دوديه ... كليمنصو وحياته العاصفة
 (تعريب حسن محمود) طبعة مزينة بالصور
1. دي سانت اكسوپرى أرض البشر
 (تعريب مصطفى كامل فوده) طبعة مزينة بالصور
- محمد سعيد العرياني ... من حولنا (قصص مصرية)
- إميل لودفيج ... نابليون (تعريب محمود إبراهيم الدسوقي)
- طبعة مزينة بالصور في جزأين
- أندريه موروا ... وازن الأرواح (تعريب عبد الحليم محمود)
- أوسكار وايلد ... صورة دوريان جراي (تعريب لويس عوض)
- طبعة مزينة بصور مختارة من فيلم ج.م. ٢٠٠٢.
- أوسكار وايلد ... شبح كانتربيل (تعريب لويس عوض)
- طبعة مزينة بصور مختارة من فيلم ج.م. ٢٠٠٢.
- بجي الخشاب ... حكايات فارسية

ه شارع قطرة الدكة
 القاهرة مصر



دار الكاتب المصري
 شركة مساهمة مصرية



893.784

G36

BOUND

FEB 23 1956

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58889302

893.784 G36

Udib, Thisyus